اليهود بين التعايش السلمي والمشاركة الاقتصادية في العصر الفاطمي تسامح الدولة واحتكارهم التجاري

[قراءة جديدة في وثائق الجنيزة]

الدكتور
محمود أحمد علي هدية
جمهورية مصر العربية
باحث ومحاضر في التاريخ الإسلامي

Jews Between Peaceful Coexistence and economic Sharing in Al-fatimi Age. Tolerance of the state and their Commercial Monopolyism (Anew Reading in the documents of Al-Junza)

Dr.
Mohamood Ahmad Ali Hudayia
Egypt
Researcher and lecturer in Islamic History

الملخص:

التسامح مع الغرباء، ومع المسيحيين واليهود "Ahluelthema"وغيرها من المجتمعات في مصر يعدّ دليلا على من ينكر هذا السلوك المتحضر لمصر.

وقد تسبب هذا التسامح في ظهور العديد من غير المسلمين واليهود والمسيحيين والأجانب في العديد من المجالات، وخاصة الاقتصادية منها. لذلك حجزوا لأنفسهم العديد من المناصاب بعد أن أصبحت لديهم مكانة كبيرة لدى بعض الحكام.

وعلى الرغم من حفاظهم على الدفاع وحماية الدولة الإسلامية، إلا أن ذلك لم يمنعهم من تحقيق الأمن لانفسهم والحصول على حقوق هذه المجتمعات اليهودية.

لقد استمر اليهود تأثيرهم في مصر، في ظل الثقافة العربية والإسلامية. لذلك، فكان لديهم امتيازات اقتصادية كبيرة إذ احتكروا بعض المهن والحرف والصناعات التي جلبت لهم الكثير من المال، فضلا عن إحتكارهم أنواعًا معينة من التجارة مثل تجارة العبيد والحرير والتوابل.

ومن خلال ما حفظته لنا وثائق غنازة يبدو لنا جليا موقع اليهود في مصر وأثره في تنمية مجتمعاتهم ومراكز استقرارهم، إذ ساعدت هذه الوثائق في فهم الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمجتمعات البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت بما في ذلك مصر. وتضمنت هذه الوثائق مراسلات ووثائق مهمة للغاية بسبب معلوماتها القيمة التي تظهر العلاقات التي تربط اليهود في مصر بالناس والحكام كما توفر لنا هذه الوثائق أيضًا معلومات جديدة تُظهر العلاقات بين المجتمع اليهودي وعناصر المجتمعات الأخرى. لذا تتعرض هذه الدراسة الى ما اكتسبه اليهود في مصر من ميزات بما في ذلك التسامح والتعايش مع السلميين التي أثرت إيجابًا على حياتهما الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: اليهود – المسلمين – المسيحيين – مصر – التعايش السلمي – الحكام – المجتمع.

Abstract:-

Tolerance with strangers, and with the Christians and Jews "Ahluelthema" and other communities in Egypt is considered a proof upon who denies this civilized behavior to Egypt.

This tolerance caused the emergence of many non-Muslims, Jews, Christians and foreigners in many fields, especially the economic ones. Therefore they held and were the only ones in many positions. And then, they had great prestige to some referees. Although the preservation of faith and the protection of the Islamic state, it did not prevent to achieve the security to give the rights to these communities Jews.

The influence of the Jews continued in Egypt , while the rise of the Arab and Islamic culture. Therefore, they had great economic position. They monopolized certain professions, trades and industries that had been brought a lot of money. They also monopolized certain kinds of trade such as the trade of slaves, silk and spices.

The position of the Jews in Egypt and the development of their communities and centers of stability was cleared through what Ganazh documents saved to us. These documents helped for understanding the social and economic life of the Mediterranean world at that time including Egypt. These documents included very important correspondences and documents because of their great valuable information that shows the relations that tie Jews in Egypt to people and referees. These documents also provide us with new information that shows the relations between Jews community, society, and the elements of other communities. So this study exposes what the Jews gained in Egypt including peaceful tolerance and coexistence that affect positively upon their economic life.

Keywords: Jews، Muslims، Christians، Egypt، peaceful coexistence، rulers، society.

يعد التسامح مع الغرباء وأهل الذمة والجاليات الأخرى في مصر حُجة على من ينكر هذا السلوك الحضاري والإنساني لها، فكان لهذا التسامح دورٌ في ظهور العديد من اليهود والمسيحيين والأجانب في العديد من المجالات لاسيما الاقتصادية منها؛ فشغلوا مناصب ومراكز انفردوا بها دون غيرهم فكان لهم مقامٌ مرموقٌ عند بعض الحكام، باعتبار المحافظة على العقيدة وحماية الدولة الإسلامية لم يمنع من تحقيق الأمن وإعطاء الحقوق لهذه لجاليات.

واستمر نفوذ اليهود في مصر وقت بزوغ الثقافة العربية والإسلامية فنالوا المكانة وشغلوا مرتبةً عاليةً من التقدم الاقتصادي فاحتكروا بعض المهن والحرف والصناعات التي يرون أنها تدر عليهم أموالاً طائلةً، واحتكروا بعض التجارات؛ كتجارة العبيد والحرير والتوابل فضلا عن تجارة الكتان.

ويتضح موقف اليهود في مصر وتطور جالياتهم ومراكز استقرارهم، من خلال ما حفظته لنا الجنيزة من وثائق تفيد في استعادة صورة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لعالم البحر المتوسط في فترة العصور الوسطى وما يتعلق منها بمصر إما مباشرةً أو استنتاجًا، باعتبارها معلومات فائقة القيمة والمبرزة للعلاقات الوثيقة التي ربطت اليهود في مصر بباقي أفراد المجتمع والسلطة الحاكمة، والتي تصحح معلوماتنا عن العلاقات بين الجاليات اليهودية والمجتمع والعناصر الأخرى. لذا يبرز هذا البحث ما ناله اليهود في مصر من تسامح وتعايش سلميين أثر إيجابً علي حياتهم الاقتصادية.

فالاحتكار التجاري الذي تمتع به اليهود في مصر الفاطمية لم يكن يتحقق لولا وجود عدة مقومات ارتكز عليه نمو هذا الاحتكار، والذي تمثل في الوضع الاجتماعي لليهود بصفة عامة، والحرية التجارية، فضلا عن الزخم السلعي والتجاري للتجار اليهود، ويتمحور هذا البحث في الإجابة عن بعض التساؤلات الجوهرية، هل هذه المقومات توافرت إبان الحكم الفاطمي؟ وما القدر الذي ناله اليهود في مصر الفاطمية؟ وكيف انعكس هذا القدر علي عملهم التجاري؟ خاصة وأن الوضع التجاري لليهود في مصر يساعد على فهم وتفسير حركة التجارة ودور اليهود في عالم العصور الوسطى، باعتبار القيم الاقتصادية هي نتاج للوضع الاجتماعي والسياسي خلال تلك الفترة، ويعطي دلائل علي دور التعايش

السلمي والمجتمعي في مصر الفاطمية، باعتبار التجارة واحدة من أقدم وسائل الاتصال الحضاري بين الشعوب والدول، هذا التساؤل سيسعى البحث للإجابة عليه من خلال قراءة جديدة في نصوص وثائق الجنيزة التي اعتمد عليها العديد من الباحثين العرب والأجانب.

أولاً: الوضع الاجتماعي لليهود في مصر الفاطمية:

ترعرعت الثقافة اليهودية في دار الإسلام، وتطعمت بجوهر الثقافة الإسلامية فكراً وتأليفًا وسيطرة، باحتكاكها بكبريات الحواضر الإسلامية في القاهرة وبغداد وقرطبة وفاس، فاتخذوها حواضر لهم وعواصم انتقلوا من خلالها لأرجاء الأرض، فتمتعوا بالعديد من مظاهر الحرية في الخلافات والحكومات الإسلامية، لما وفرته قوانين الشريعة الإسلامية من حقوق، كحرية البيع والشراء والتنقل، وحمت أموالهم ودماءهم، فكان لها الأثرٌ الأكبر في إنجاح اليهود وبصفة خاصة تجارتهم، وعن ذلك يقول جوايتاين: "إنَّ القدر الهائل من حرية الحركة الذي تمتَّع به اليهود، والذي صورته جنيزة القاهرة، كان من المستحيل أن يتحقق مالم يكن لهم وضع قانوني، ومالم يسمح بذلك مناخ السياسة العامة"(١).

فتواجد اليهود في نسيج المجتمع المصري واندمجوا بين طياته ووصلوا لدرجة كبيرة من التعايش وحُسن الجوار طبقا للعادات والتقاليد المصرية والتي رفضت الشاذ والغريب عنها، وتجسد هذا التسامح في احتوائه لهم في وقت زعم فيه اليهود أنَّ الإسلام فرض عليهم نوع من أنواع التقوقع وهي عنصرية غير مقبولة من مدعيها، كيف ووثائق الجنيزة تعطي دلائل علي أن اليهود المصريين انصهروا في المجتمع فقطنوا معظم البلدان والمدن المصرية ولم يفرض عليهم الانعزال فمنهم من سكن القاهرة والفسطاط، وهو ما أكدت عليه الجنيزة حيث يظهر في إحدى الرسائل التي أوصي فيها تاجر يهودي في الهند أخيه في الفسطاط بأن يستقبل اثنين من التجار التونسيين اللذان التقى بهما في الهند ويسكنهما في منزله في القاهرة، حيث كانت المدن المصرية محببة للتجار اليهود كما أشارت إليه رسالة إبراهيم بن بجو في عدن إلى أخيه في المهدية والمؤرخة في منتصف شهر سبتمبر ١١٤٩م بقوله" **بعد مجيئك إلي سنعيش إما في عدن، وإما في الفسطاط، وإما في الإسكندرية، إذا تعذر علينا الذهاب إلى المهدية أو إفريقية**"(٢)، وكذلك رئيس الطائفة اليهودية في مصر ميفزراخ لأكثر من ثلاثين عاما (حوالي ١٠٨٠- ١١١٠م) قد أقام بالعديد من المدن(٣)، وذلك بالمقارنة بباقي الدول

الأخرى فإن اليهود قطنوا الأحياء المعزولة وتجنبوا المشاركات بصفة مستمرة، في حين مصر استقطبت العديد من اليهود الوافدين إليها وخاصة من الأندلس والمغرب في العصر الفاطمي(٤)، والذين نالوا بعض من أنواع التهميش فكتبت رسالة في مدينة فاس في العهد الموحدي من ضمن نصوصها "**بُعض اليهود منتهر في هذا البلد إلى درجة تبدو فيه المرية كملجأ أمن**"، فهاجر بعضهم إلى مصر والآخر إلى الأندلس (٥).

وعلي قائمة أولئك الذين جاءوا إلى مصر **موسى بن ميمون**(٦) والذي ترك الأندلس وأصبح رئيس الجالية اليهودية في مصر، وكذلك ديفيد شقيق موسى بن ميمون الذي استقرً مع عائلته في مصر وقام بالعديد من رحلاته التجارية إلى الهند من مصر(٧)، وكذلك ابنه وخليفته إبراهيم طبيب المحكمة اليهودية والذي ظل في الفسطاط وكان يذهب إلى القاهرة لقضاء عطلات الأعياد ونهاية الأسبوع وخاصة يوم السبت(٨)، بالإضافة للعديد من الإشارات التي جاءت بها الجنيزة عن اليهود القاطنين في المدن المصرية والتي شكلت دائما حيز كبير من هذه المراسلات ما يتعلق بحركة التكافل الاجتماعي اليهودي(٩).

ويظهر من ذلك أن مسألة السكن والإقامة لليهود في مصر خاصة في القاهرة والفسطاط لم تكن مشكلة تؤرقهم لامتلكهم المنازل ونادراً ما توجد إشارات في الجنيزة عن استئجارها(١٠)، فلم يتركز اليهود في حي واحد أو مكان محدد، فمنهم من امتلك منازل وإقامات في عدد من المناطق ولكن الأغلبية فضلوا أن يكونوا قريبين من المحكمة والمراكز اليهودية الأخرى في العاصمة(١١).

ومن خلال ما رصده بنيامين التطيلي في رحلته إلى مصر كونه رحالة يهودي الأندلسي، والذي قام برحلته بين عامي ٥٦١هـ/١١٦٥م -٥٦٩هـ/١١٧٣م، وجاب عدد من المدن المصرية وقدر عدد اليهود في مصر بحوالي ٧٥٠٠ يهودي تمركزوا في المدن الرئيسية منها في حلوان ٣٠٠ يهودي تاجروا بالتوابل والخروج بالقوافل نحو الصحراء(١٢)، وقوص بها ما يقارب من ٣٠٠ يهودي(١٣)، وفي القاهرة ٢٠٠٠ يهودي(١٤)، وفي مدينة ابو تيج في الصعيد ما يقارب من ٢٠٠ يهودي(١٥)، وكذلك بمدينة بنها ٦٠ يهودي، وسمناط بها ما يقارب من ٢٠٠ يهودي أيضا(١٦)، وقرية الدميرة احدى قرى دمياط بها ما يقارب من ٧٠٠ يهودي(١٧)، بالإضافة لمدينة المحلة وبها ٥٠٠ يهودي(١٨)، والإسكندرية قطنها ما ٣٠٠٠ الاف يهودي عملوا

بالتجارة[١٩]، وكذلك دمياط وبها ٢٠٠ يهودي[٢٠]، هذا الرقم من وجه نظري رقم متواضع جداً لأعداد اليهود في مصر في هذه الفترة خاصة وأن بنيامين قد زار المدن والأماكن الرئيسية ولم يزر القرى والمدن الأخرى، هذا من جانب، ومن جانب أخر فقد انتشر اليهود في القرى والمدن المصرية لجلب الجيد والنفيس لتجارتهم وبصفة خاصة تجارة الكتان فكان لهم العديد من العملاء والمناديب والوكلاء التجاريين سواء المسلمين واليهود الذين انتشروا في كافة ربوع مصر واحتكروا ما يقارب من ٢٨ نوعاً من أنواع الكتان بعضها عرف بالمنطقة الذي زرع فيها كالأسيوطي والأشموني والأطفيحي والبوصيري والطماوي والتنساوي والمهداوي والسنبوطي والفيومي والفيشي والريفي[٢١]، فلا عجب أن في كل هذه المراكز تواجد اليهود حيث خُصص لتجار ووكلاء الكتان اليهود بيوتًا ومنازل في هذه مراكز انتاج الكتان المنتشرة لضمان الحصول علي المتميز منه[٢٢]، لهذا فقد مثل اليهود في مصر رقم مهم في معادلة المجتمع المصري فكانوا أحد شرايينه النشطة، باعتبارهم مواطنين مصريين وهو ما جعل بعض الكتاب المستشرقين ينعتهم **باليهود المصريين**[٢٣].

هذا وتعتبر وثائق الجنيزة من المصادر المهمة لإعطاء معلومات عن كل جانب تقريبا من جوانب الحياة في المجتمعات اليهودية في العالم الإسلامي وهي بمثابة أدوات للرقابة الاجتماعية لهذه الطائفة، والتي كانت في مجملها رسائل تهنئة، رسائل تعزية، ورسائل شكر، وخطابات توصية، رسائل التوبة، وغيرها الكثير والتي تعكس مدى حرص اليهود المصريين علي حفظ تراثهم الحضاري والديني[٢٤]، مقارنة بالمسيحيين الشرقيين والذين عاشوا في العالم الإسلامي لم يهتموا كثيرا بكتابة الحياة الداخلية والأمور الشخصية المتعلقة بهم كونهم اهتموا في المقام الأول بمسائل العقيدة والإيمان والليتورجيا[٢٥]، ولم ينتجوا أدبيات هامة عن السياسة الداخلية للطوائف الشرقية التي كان المؤرخون اليهود قد اكتسبوا بعض البصيرة بهذا الأمر، لذا نرى أن المؤرخين اليهود - والذين اقتنعوا بحق بالوجود الأساسي للمؤسسات اليهودية في الدولة الإسلامية وكذلك مصر- لم يعتبروا المسيحية الشرقية ذات صلة مباشرة بشواغلهم الاقتصادية أو السياسية وكذلك الدينية، لهذا لم يولى الاعتبار الكافي للمصادر المتصلة بالحياة الداخلية للمجتمعات المسيحية التي تعيش في المدار الإسلامي في القرون الوسطى، ولم تعترف وتهتم المؤسسات اليهودية في القرون الوسطى أن اليهود والمسيحيين كانوا في العالم الإسلامي في القرون الوسطى إخوة في وضعهم من الأقليات[٢٦].

ومن السمات المميزة للوضع الاجتماعي لليهود في مصر هو الحرية العقائدية فقد تمتع اليهود بالولاية الكاملة على شؤونهم الداخلية، ومكنت هذه الحالة اليهود من العيش وفقا لمقتضيات قانونهم الاجتماعي والديني، ما ساعدهم لأن يحتلوا موقعًا متميزًا في عالم البحر المتوسط كرجالً للشؤون الدينية والتجارية، مقارنة بباقي اليهود في باقي بلدان المتوسط(٢٧)، وهو ما قام برصده المقريزي بتأكيد حجم الحرية العقائدية التي نالها اليهود في مصر من خلال عدد المعابد اليهودية التي امتلكها اليهود في مصر حيث يفرد المقريزي العديد من معابد اليهود أو كما يذكر "**كنائسهم**" ومن بينهما كنيسة دموه، وكنيسة جوجر، والمصاصة، الشاميين، الحراقيين، الجؤذرية من القاهرة، القرائين بحارة زويلة، دار الحدرة بحارة زويلة، الربانيين بحارة زويلة، وابن شميخ بحارة زويلة، السمرة بحارة زويلة(٢٨).

لهذا فالإعاقات التي فُرضت علي اليهود لم تكن إلا اعاقات نظرية فقط كما تؤكد علي ذلك الجنيزة، ولم تدخل حيز التنفيذ والممارسة بدليل الامتيازات التي حصلوا عليها من واقع علاقاتهم الفعلية بالسلطة الإسلامية(٢٩)، كما تؤكد المصادر التاريخية علي أن مستوى التعايش والتسامح بلغ منتهاه في عصر الخلفاء الفاطميين مما دعى البعض إلى أن ينقم علي وضع أهل الذمة في مصر وما تمتعوا به من نفوذ وسلطة، حيث تشير واقعة حدثت زمن الخليفة العزيز بالله ٣٦٥ - ٣٨٦هـ /٩٧٥-٩٩٦م، وهي أن امرأة اعترضت طريقه تعرض عليه شكواها بقولها "يا أمير المؤمنين بالذي أعز النصارى بابن نسطورس، واعز اليهود بمنشا بن ابراهيم، وأذل المسلمين بك، ألا نظرت في أمري وكشفت ظلامتي"(٣٠).

والواقع أن الحكم الذاتي الواسع الذي حظيت به الأقليات في مصر نتيجة حصولهم على هذا الدعم من الحكام المسلمين، شجع على نمو النظم اليهودية الخاصة بهم(٣١)، بعد تأسيس دولتهم في مصر؛ وبعد فترة وجيزة وكجزء من سياستها الخارجية المعادية للعباسيين وبناء عاصمتهم الجديدة في القاهرة(٣٢).

حيث اشتهر الخلفاء الفاطميين بحسن معاملتهم لأهل الذمة جميعًا وتمسكوا بسياسة التسامح معهم، فنبغ الكثير منهم في جوانب الحياة المختلفة في مصر الإسلامية في العصر الفاطمي في إدارة شئون البلاد، فقلدوهم المناصب الرفيعة في المسائل المالية والإدارية، وعلي وجه الخصوص التجار اليهود القادمين من المغرب مع الدعوة الفاطمية، فشغلوا

المناصب المهمة في النظام المالي[٣٣]، كما نجد الكثير من منهم في دوائر الحكم والإدارة إلى جانب نشاطاتهم الاقتصادية في ميداني الزراعة والتجارة ومشاركتهم في مجالس الخلفاء[٣٤]، وقد انعكس هذا التمييز الايجابي لليهود في مصر بأم تعصبوا لبني ملتهم فعينوهم في الكثير من فروع الإدارة وحرموا المسلمين أصحاب الأغلبية العظمى من تولي المناصب الإدارية، مما ولد الشعور بالكراهية تجاه هذا التعصب مما حدا بالشاعر الحسن بن بشر الدمشقي أحد شعراء مصر إبان خلافة العزيز بالله أن يصور هذه الظاهرة بقوله:

تنصر فالتنصر دين حق ... عليه زماننا هذا يدل

وقل بثلاثة عزوا وجلوا ... وعطل ما سواهم فهو عطل

فيعقوب الوزير أب وهذا العزيز ... ابن وروح القدس فضل[٣٥]

كما برع العديد منهم في المجال الطبي وتقلدهم المناصب الرفيعة لدى الخلفاء الفاطميين، وعلي رأسهم كان موسى بن ميمون وحفيده ديفيد الثاني والذين قدموا المشورة الطبية ومساعدة الفقراء الذين تعاملوا معهم بصفتهم رؤساء اليهود [٣٦].

ويترسخ مبدأ التعايش السلمي لليهود في مصر من خلال دراسة خطابات التعيين لرؤساء الكتل اليهودية والتي أشرفت عليها الدولة الفاطمية في دمشق ومصر في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين والتي أظهرتها الجنيزة في العديد من وثائقها[٣٧]، والتي عكست الوضع الاجتماعي لليهود وأبرزت قيمة التعايش السلمي فكان لها الدور الأكبر في تنظيم الحياة الاقتصادية **لليهود المصريين**[٣٨]، كما سعت السلطة الفاطمية إلى فصل اليهود في مصر عن السلطة اليهودية في العراق والذين خضعوا للدولة العباسية، ومنحوا لقب رئيس اليهود لمتولي الأمور الدينية اليهودية وتم استثماره واستغلال بشكل جيد بالنسبة للحكومة الفاطمية في ضبط أحوال اليهود المصريين[٣٩]، فَمُنِحَ رؤساء اليهود الألقاب الشرفية وأكدوا علي زعامتهم الدينية، خاصة الناجيد[٤٠] من قاعدته في القاهرة والفسطاط[٤١]، في المقابل فقد سيطرت الدولة علي الوضع اليهودي عن طريق الإشراف على النظام داخل المجتمع اليهودي، وإدارة الأوقاف اليهودية والتي تعني في الواقع السيطرة على المال العام، وكذلك الدفع المنتظم للجزية والضرائب الأخرى[٤٢]، وتؤكد وثائق الجنيزة على مدى سيطرة رجال الدين اليهود علي حياة اليهود المصريين كما في الرسالة

ومن بين نصوصها" أن يكونوا علي قلب واحد وأن يحب بعضكم البعض وأن يسعوا جاهدين لأداء الوصايا الدينية... لا يجوز لأحد تجاوز سلطة القانون الديني أو الذهاب إلى الأمم (المحاكم) قبل المثول أمام المحكمة اليهودية في القاهرة والحصول على إذنهم، ومرة أخرى، تحذيرا من العصيان"(٤٣).

وفي المقابل فقد نالت أيضا المؤسسات اليهودية الدعم من قبل السلطة الفاطمية خاصة الاكاديمية اليهودية الفلسطينية بعد انتقالها من القدس إلى صور بسبب بعض الممارسات هناك(٤٤)، حيث حصلت أكاديمية بيت المقدس - وهي أعلى سلطة دينية يهودية في العصر الفاطمي - علي منحة أساسية للإنفاق عليها وصيانتها وما ترتب عليها إشراف السلطة الفاطمية علي اختيار رئيس الأكاديمية، وأيضا المنحة المماثلة لبيت التعليم اليهودي في مصر والتي أعطت للسلطة التدخل لإنهاء بعض الأزمات الدينية(٤٥)، وهو ما يؤكد علي ما حظي به اليهود من حرية اجتماعية ساهمت في بناء الوضع التجاري لهم.

ومن الأمور التي تؤكد علي الوضع الاجتماعي هو الحرية القضائية، حيث تظهر وثائق الجنيزة أن معظم القضايا المدنية لليهود في عصر الدولة الفاطمية كانت تُنظر أمام المحاكم اليهودية، ولكن وجدت بعض القضايا تنظر أمام محاكم إسلامية ويهودية في وقت وأحد ولكن النظر النهائي يكون للمحكمة اليهودية(٤٦)، ولكن من الملفت للنظر أن بعض التجار اليهود في مصر فضلوا رفع قضاياهم إلى قضاة مسلمين كما فعل تاجر أندلسي يقيم في القاهرة برفع قضيته إلى قاضي مسلم وذلك عام ٤١٨هـ/١٠٢٧م ولم يرفعها لقاضي يهودي رغبة منه في انجاز هذه القضية والبت فيها(٤٧)، كما تشير بعض الوثائق طلبات بعض التجار اليهود تدخل السلطة الحاكمة وخاصة الخليفة لإنهاء أزمته كالتي ارسلها التاجر اليهودي موسى بن صدقة والذي أرسل يتوسل إلى الخليفة الحاكم بأمر الله أن يتدخل لإنهاء أزمته وتعطل أحواله بعد عودته من الهند واليمن ببضاعته وأمواله(٤٨).

الجزية والوضع الاجتماعي لليهود المصريين:

اعتبرت الجزية من القضايا المهمة التي اتصلت باليهود في البلدان الإسلامية وبخاصة مصر، وقد فرضت الجزية علي جميع الطوائف والطبقات من الموظفين الحكوميين

والمزارعين اليهود باعتبارات وأسس وقواعد تجمع عليها، خاصة القادمين الجدد علي المدن المصرية بالإضافة للمقيمين، واختلفت هذه النسب والتقديرات بحسب الحالة التي عليها اليهود، وقد ساهم زعماء الطوائف المذهبية المحلية اليهودية في عملية التقييم لدفع الجزية بناء علي طلب الحكومة الفاطمية المستمر لدفع الضرائب وخاصة الجزية(٤٩).

كما يذكر ابن مماتى أن الجزية واجبة علي أهل الذمة الأحرار البالغين دون النساء والصبيان، والرهبان والعبيد المجانين، وأما الشيخ الفاني وغيره ففيها قولان، والفقراء الذين لا كسب لهم ففيهم أيضا قولان، الأول تجب عليهم، والثاني لا تجب عليهم(٥٠)، وصنف ابن مماتى مقدار الجزية إلى ثلاثة أنواع وهي "العليا ومبلغها أربعة دنانير وسدس، ووسطى ومبلغها ديناران وقيراطان، وسفلى ومبلغها دينار واحد وثلث وربع وحبتين"(٥١)، لهذا أوجد المجتمع اليهودي فيما بينه مؤسسة اجتماعية تسعى لتحسين أحواله الاجتماعية واعتبرت هذه المؤسسة الاجتماعية بمثابة أعظم الأعمال الجديرة بالاهتمام والتي أشير إليها بمجموعة كبيرة من طلبات المساعدة في دفع الجزية(٥٢).

وورد في إحدى رسائل الجينزا مدى أهمية تسديد الضرائب ودفع الجزية فكانوا مطالبون بإثبات البراءات التي تثبت ذلك، فيقول تاجر يهودي قادم من تونس إلى مصر مخاطباً أبي الفرح نسيم الرِقّي – نسبة إلى عبدة الرِق قريباً من صفاقس- "**تركت جُبتي من القطن التي ارتديها عادة فوق ردائي، وفي جيبها شهادة الضريبة [الجزية]، فأرجو إرسال الشهادة فور قرائتك للخطاب؛ لأنني سلمت كفالة عنها إلى حين وصولها**"(٥٣)، كما استعلام اليهود القادمين إلى مصر بشأن الجزية كما جاء في الرسالة المرسلة من أبى سعيد بن أبى الحسن الأبزاري في بلرم إلى أخيه الأكبر أبى البركات في الفسطاط عام ١١٤٠م بقوله "**اكتب لي عن الجزية**"(٥٤)، فأرسلوا خطابات ومراسلات ليستفسروا بشأن القائم علي تحصيل الإيرادات ويستغيثون فيها من الضرائب المفروضة عليهم ويرجون تخفيفها(٥٥).

وتظهر إحدى الرسائل من تاجر تونسي في الإسكندرية ويخبرنا في هذا الصدد: "**أود أن أقول لكم ما حدث لي فيما يتعلق الجزية منذ رحيلك من هنا وهناك الكثيرون في هذه المدينة الذين لديهم وصل قبل لنفسي، ولكن لا يعاملون بالطريقة التي كنت من ذوي الخبرة، كل يوم يتم استدعائي إلى المحكمة، ويطلب مني أن دفع الجزية بالكامل، وأنهم**

يريدون تسجيلي كمقيم، في حين أن والدي كما كنت تعرف لم يكن سوى وافد جديد، الفائدة المستمدة من حضرتكم هي التدخل بالنسبة لي، لأنه أكون قد دفعت هذا العام ما يقرب من دينارين، وإذا كنت تعامل الآخرين بالطريقة نفسها وجامعي الضرائب ومدير الجالية – الطائفة – لا يمكن توجيه اللوم لك.. كل هذا هو تماما عمل اليهود"(٥٦).

فتوجب علي مباشري الجوالي وهم جامعي الجزية أن يُلزم رئيس اليهود بكتابة تقارير عن حالة اليهود وأوضاعهم، ويوضحون فيها من استجد في منطقتهم من الطوارئ والنوابت، كما يشير كل منهم في نهاية الرقاع من تحول إلى الإسلام ومن توفي، ومن خرج من بلده إلى بلد آخر، وإلى أي جهة ذهب إن أمكن ذلك(٥٧)، ولذلك تم إنشاء بعض المكاتب الخاصة باليهود الذين عاشوا في جميع أنحاء مصر وخاصة اليهود الفلسطينيين السوريين بالقاهرة لحصر المستجدين لدفع الجزية(٥٨)، حيث توجد إشارة إلى معلمًا فلسطينيًا كان يدرس في قرية من قرى مصر، وكان عليه أن يذهب إلى القاهرة في كل عام ليدفع ما عليه من ضريبة في مكتب الفلسطينيين السوريين(٥٩).

وتوثق العديد من وثائق الجنيزة لأنشطة رؤساء وقادة اليهود في مصر، فبرز دورهم بشكل كبير في استعادة المعابد اليهودية، والإفراج عن السجناء الذين انتهكوا القانون الفاطمي، والتخفيف من أعباء الضرائب، والشفاعة نيابة عن أشخاص مختلفين أصبحوا متشابكين القانون(٦٠).

وعلي الرغم من الطريقة التي اتبعت في جمع الضرائب والجزية من أهل الذمة واليهود بصفة خاصة، إلا أنه أحيانًا تسامح جامعو الضرائب في جمعها وترك المتبقي منها دون المطالبة بها، كما حدث في عهد الخليفة الفاطمي **الحاكم بأمر الله** عام (٥١٥هـ/١١٢١م)، حين كتبت سجلات تضمنت ترك البواقي التي علي المتقبلين والضامنين في هذا العام، وأرسلت إلى جميع أنحاء البلاد لقراءتها علي الناس(٦١).

وقد اتبع البعض من الحيل التي تمكنهم من عدم دفع الجزية وخاصة التجار العائدين من رحلاتهم التجارية، إذ تذكر إحدى الرسائل أن أحد التجار عاد من رحلة **القسطنطينية** إلى الإسكندرية بعد غياب عامين ونصف، فطلب من جامع الضرائب في الإسكندرية أن يسجله وفاد جديد إليها، ليتهرب من دفع المستحق عليه من ضرائب وجزية سابقة قبل سفره

وتراوحت مدة أربع سنوات لذا أدعى المرض، لأن الكثير منهم أدعى المرض كي يُعفى من دفع هذه الضرائب، فلجأ إلى الحيلة الوحيدة أمامهم بأن يسجل نفسه كمتغيب "**حيث قال بعضهم خلاصك الوحيد هو تسجل علي أنك غائب**"(٦٢)، وكان عليهم أن يتأكدوا من الوافد الجديد يحمل براءة كاملة وموثقة كي لا يسبب أي متاعب مع السلطات، لأن الجزية وغيرها من الضرائب كثيراً ما تسببت في مشاكل كثير لليهود الوافدين مع السلطة الفاطمية(٦٣).

ثانياً: الحرية التجارية لليهود في مصر الفاطمية:

لعب اليهود في الدول الإسلامية دوراً فعالً في اقتصادها وبالأخص تجارتها، فكانوا على اتصال يومي ووثيق مع مختلف الأديان والجنسيات، وهو ما توضحه كتابات جنيزة خاصة وأن نصيب التجارة اليهودية في النسيج كمثال قد تجاوزت نسبتها في غيرها من الصناعات والتجارات الأخرى مقارنة بعدد السكان اليهود في البلدان الإسلامية.

وتميزت مصر في العصر الفاطمي بالازدهار الاجتماعي والاقتصادي والذي ساعد في جذب اليهود المصريين ويهود البلدان للمتاجرةِ والسفر إليها والمتاجرة معها وتعاونوا فيما بينهم لنجاح مجالهم التجاري والذين قرروا ركوب البحر، حيث عُد اليهود من المسافرين الكبار الدائمي الترحال والتنقل من بين سكان البحر الأبيض المتوسط، حيث لم يشكل الافتقار للأموال عائقا أمامهم للسفر ولكن كان حافزاً ودافعاً لهم لاستكمال الأمر والبحث عنه(٦٤)، عبر البحر وليس البر خاصة في فصل الشتاء(٦٥)، باعتباره أكثر أماناً، ويقدِّرُ جوايتاين من خلال دراسته لوثائق الجنيزة أنَّ نسبة سفر اليهود بالبّر إلى سفرهم بالبحر تساوي١: ٢٠(٦٦).

لذا عُدت طبقة اليهود في مصر من الطبقات العليا وذات الاتصالات والعلاقات الواسعة مع السلطة باعتبارها من الطبقات الغنية والتجارية (٦٧)، فبلغ نشاطهم التجاري مداه في عصر الخلفاء الفاطميين، فقُرّبوا إليهم وجلبوا لهم أغلى التحف وأدق المجوهرات وغيرها من صنوف المتاع، وأبدوا لهم تسامحًا عظيمًا، ومعاملة حسنة وصار لهم مكانة كبيرة، حتى أن بعضهم قام بدور عظيم في سياسة البلاد فجابوا أقطار الأرض شرقًا وغربًا لجبل التحف الثمينة والمجوهرات العجيبة، وعن طريق هذه التجارة تمكنوا من التمتع بمكانة

ممتازة لدى كثير من الخلفاء الفاطميين وكبار رجال الدولة، مما زاد في نشاطهم التجاري وساعد علي رواج سلعهم(٦٨).

وتبلورت هذه الحرية في الفسطاط باعتبارها مركز العصب الاقتصادي والتجاري في الشرق وعالم العصور الوسطى، بسبب الموقف المتسامح الذي انتهجه الفاطميين تجاه مواطنيهم غير المسلمين، فلا وجود واضح للتفرقة العنصرية والتمييزية والعقائدية بين المسلمين وغير المسلمين(٦٩)، خاصة زمن حكم الخليفة المستنصر، من حرية دينية واقتصادية ووقت حكم بدر الجمالي(٧٠) وابنه الافضل(٧١)، حيث كان لأم الخليفة المستنصر السيدة رصد(٧٢) دوراً مهماً في هذا الأمر، إذ نال اليهود درجة عالية ومميزة من بين التجار(٧٣)، فالحق الكثير منهم بمناصب الدولة المهمة وتولوا الوظائف الكبرى، باعتباره -أم المستنصر- جارية استقدمها تاجر يهودي إلى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١- ٤٢٧هـ/١٠٢١-١٠٣٦م) "فباع له جارية سوداء فتحظى بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر، فرعت لأبى سعيد ذلك، فلما أفضت الخلافة إلى المستنصر ولدها، قدمت أبا سعيد وتخصصت به في خدمتها"(٧٤)، ورغبت في حكم الدولة بنفسها إذ رأت أن خير الأمور لتنفيذ مأربها هي أن تكون لها الكلمة الأولى في سياسة الدولة(٧٥)، وزادت سطوتها.

وعلي الرغم من حالة التعايش والتسامح التي نالها اليهود إلا أنها تخللتها بعض أوقات الاضطراب والتفاوت، خاصة في ظل حكم الخليفة **الحاكم بأمر الله** والذي شهد عصره وجود فترات اضطراب مع غير المسلمين من المسيحيين واليهود والذين تشاركوا في ازدهار هذه الفترة، ولم تدم طويلا خاصة مع قدوم الخليفة الظاهر والمستنصر(٧٦).

وتسلط الجنيزة الضوء علي النشاط التجاري باعتبارها مسائل ذات أهمية كبيرة تتعلق بالنشاط اليهودي في مصر والدول المحيطة بها، حيث تاجروا مع بلدان المتوسط ومدن الشرق والشرق الأقصى، وأدوا دور الوسيط التجاري بين أقاليم البحر المتوسط وبيزنطة والغرب الأوروبي من جهة وبينها وبين المشرق الإسلامي من جهة أخرى كما أن اليهود- بصفة خاصة- في التجارة الدولية في العصور الوسطى، فكان لهم النصيب الأوفر في التبادل التجاري بين الشرق والغرب، باعتبارهم أنشط الفئات التي مارست التجارة في ظل الحكم الإسلامي وتناقلته بين أبنائها من جيل إلى آخر(٧٧).

أولى اليهود بصفة عامة اهتماماً كبيراً بالأمور التجارية في معظم البلدان التي قطنوها وبصفة خاصة الإسلامية منها، وعدُّوها الطريق الأفضل لتحقيق الربح الكبير، وهو ما يذكره العالم التلمودي راب (RAB) شعاراً لأبناء ملَّته يقول: "**تاجر بمائة فلورين**(*)، **تحصل على لحمٍ وخمر، أما إذا استغلَلْتَ هذا القدر نفسه في الزراعة، فأكبر ما تحصلُ عليه هو الخبزُ والملح**"(٧٨).

ففضل اليهود تجميع أنفسهم حسب ديانتهم، إذ تظهر رسالة أرسلها موسى بن ميمون إلى ابنه ابراهيم منبهًا إياه أن يحترس من الغرباء في اثناء ترحاله، وأن "**لا يكون صديقًا حميمًا لأي جماعة باستثناء أخوتنا الأحبة في اسبانيا، المعروفين بالأندلسيين**"(٧٩).

ولم يقتصر دورهم في مجال التجارة الخارجية ولكن امتد لمجال التجارة الداخلية، فشاركوا في نقل وتبادل السِّلَع بين المدن المصرية وبصفة خاصة فيما يتعلق بالكتان المصري وظروف نقله من مصر عبر نهر النيل ومن ثم إلى الموانئ الشمالية، خاصة وأن مصر في العصور الوسطى بلد هيمن اقتصاده على محصول واحد وهو الكتان، فتم شحنه للبلدان الخارجية لتلبية احتياجات صناعة الغزل والنسيج الضخمة والمتطورة، لهذا كانت مصر في أوائل القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي مركزًا سياسيًا واقتصاديًا للكتان، وأصبح يهود مصر في العصور الوسطى نشطاء بشكل خاص في تجارة الكتان(٨٠).

واعتبرت مراسلات التجار اليهود عبارة عن تقارير عن موقف السكان في البلد التي كتبت فيه، وعن الأحداث السياسية وأخبار الطائفة اليهودية(٨١)، بالإضافة لنقل أخبار السوق كما في الرسالة المؤرخة في أواخر القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي من أبى إبراهيم الرقي من الفسطاط إلى أبى الفرج نسيم الرقي بالإسكندرية يعطيه أدق التفاصيل وأكبرها عن حالة السوق وأهم الصعوبات والنصائح التجارية التي من خلالها يستطيع أن يحقق أكبر المكاسب ويتلاشى الخسارة بقوله "**الأعمال هنا ضعيفة، وتكاد تكون متوقفة، إذ ثمة بلبلة كبرى في أسعار الصرف... والوباء متفش كثير في جهات المدينة، وكل واحد يواجه صعوبات في أعماله التجارية**"(٨٢).

ولم تحمل تلك الخطابات عبارات الكراهية والاضطهاد مثلما حصل في بعض البلدان حيث جاء في الرسالة الآنفة الذكر، والتي كتبت في بلاد المغرب في عهد الموحدين العبارة

التالية: "**وتنتشرُ كراهية اليهود في هذا البلد**"(٨٣)، ولكن كان الحرص علي المجيء إلى مصر من الأولويات للتجار اليهود الغير مصريين كما ذكر إبراهيم بن بجو في عدن إلى أخيه في المهدية في رسالة مؤرخة في منتصف شهر سبتمبر ٥٤٤هـ / ١١٤٩م بقوله" **بعد مجيئك إلي سنعيش إما في عدن، وإما في الفسطاط، وإما في الإسكندرية، إذا تعذر علينا الذهاب إلى المهدية أو إفريقية**"(٨٤).

وتشير رسائل الجنيزة بين الشركاء والتجار اليهود لمدى اتساع نطاق عمل الشركات والاحتكارات والتعاون والمسئولية للحفاظ علي علاقات تجارية مستمرة، خاصة فيما يتعلق بالأسعار وجودة المنتجات إذ كانت هذه محور الرسائل والوثائق، وهو ما يعطينا صورة عن طبيعة الاحتكارات اليهودية التجارية والتي دائما ما كانت تسعى إلى احتكار الجيد والنفيس والبعد عن الرديء والسيء، ففي رسالة كتبت في القرن الحادي عشر يشكو كاتبها من تدهور أسعار الفلفل والبهار في تونس ويرويها لشريكه في مصر بقوله " **ولكن يا أخي لا اريد أن آخذ الأرباح بمفردي، وبعد ذلك أرسلت المبيعات إلى شريكنا**"(٨٥)، وفي رسالة أخرى مؤرخة في أواخر القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي من أبى إبراهيم الرقي من الفسطاط إلى أبى الفرج نسيم الرقي بالإسكندرية يخبره فيها بعدة أمور عن حركة التجارة خاصة شريكهم أبى الحسن بقوله "**وجبب الخز لا تسوي شيئا، فالجبة تباع بأقل من أربعة دنانير، الرجاء إعلام أبى الحسن بذلك.. وأرجو إخبار أبى الحسن الشامي أن لا ينتقل بزيته، فسوف يندم إن هو فعل، وقد أخبرني سيدي أبو سعد أن أبا البشر باع حريره للدولة وقبض الثمن**"(٨٦)، ومن وثائق الجنيزة يتضح المبدأ الذي ارتكزت عليه التجارة اليهودية في مصر وفي أرجاء العالم وهو الربح والمكسب السريع، كما جاء في الرسالة الي أرسالها تاجر يهودي أندلسي لأخر وهو أبى ابراهيم الأندلسي يقيم في مصر بقوله "**ورغبتي في هذا الأمر هو من أجل بيع سريع ومربح**"(٨٧).

مظاهر الحرية التجارية لليهود:

تقلد اليهود أبسط المهن وأحقرها فضلا عن تحكمهم في معظم التاجرات ومسالك الطرق التجارية والمدن الرئيسية وهو ما يمثل حجة على رد كثير من الروايات التي تتحدث عن تهميش اليهود في الدولة الفاطمية، وتظهر وثائق جنيزة القاهرة أنّ العمل في تجارة ما

وراء البحار، كان طموحاً للشبان اليهود للمتاجرة والربح[٨٨].

أ - حرية التنقل التجاري:

سلك التجار اليهود طرقًا بريـة أثناء سفرهم لبلدان الشرق الأقصى، فاستقلوا بتجارتهم المراكب في البحر المتوسط من أنحاء الغرب الأوروبي من القسطنطينية وإيطاليا وفرنسا، ومنها يسيرون إلى الفرما[٨٩] بمصر ومنها يحملون بضائعهم التجارية على ظهور الجمال إلى مرسى القلزم[٩٠] ثم يحملون تجارهم في المراكب ويسيرون لمرسى جدة في الحجاز وميناء عدن باليمن، ثم يسيرون منها إلى الهِنْد والصِّين، ويعدون بحرا لعدن ثم إلى القلزم ومنها للفرما ثم لأنحاء موانى مدن الغرب الأوروبي[٩١].

أو يتجهون عبر البحر المتوسط لبلاد الشام ومنها برا إلى بغداد، ثم يعبرون الفرات ومنها لعمان ثم إلى السند والهِنْد والصِّين، ومن هذه البلدان يعدون بأنواع البضائع التجارية الطريق عبر عمان وسيراف والبصرة وبغداد إلى أنطاكيا ومنها بحرًا إلى مدن الدولة البيزنطية أو يتجهون الى مرسى عدن ثم الى القلزم بمصر ومنها الى مدن الغرب الاوروبي وهكذا سير التجار اليهود من نشاطهم التجاري بين بلدان العالم آنذاك[٩٢].

لهذا لم تتوقف الحركة التجارية اليهودية عند مكان وزمان معين، ففي الحالات التي من الممكن أن تتوقف الشحنات التجارية لأي سبب، لجأ التجار إلى إرسالها إلى أي مكان أخر ليتاجروا بها، فالتاجر اليهودي **يعقوب بن سليمان الحَرِيري** اشترى كمية الكَتَّان، وكان ينوي إرسالها إلى **الإسْكَنْدَرِيّة** ومنها في قارب إلى **المهدية**، ونظرا للتكلفة العالية قرر أن يرسل الكَتَّان إلى **اللاذقية** في سوريا[٩٣].

وبسبب روابطهم التجارية الوثيقة مع باقي المدن والدول فقد ذهب التجار اليهود المصريين لإقامة علاقات لهم مع التجار في المدن ذات الموانئ المهمة سواء في اليمن والهند والمغرب الإسلامي والأندلس بالإضافة للجزر المتوسطية، حيث كتب تاجر يهودي من الأندلس إلى زوجته في القاهرة يقول: "إني أعتزم المجيئ على الجيتاني، وهي سفينة يمتلكها تاجر من جيتا في إيطاليا[٩٤].

ب - اليهود الرازانية:

أُطْلِقَ على اليهود الذين يستغلون الطريق البحري بين بلاد الإسلام وأوروبا اسم" تجار البحر"[٩٥]، وكانوا يتكلمون عدة لغات من بينها العربية والفارسية واللاتينية، وتبدأ رحلاتهم من بروفانس في جنوب فرنسا، ويعبرون بسفنهم البحر الأبيض المتوسط إلى ميناء الفرما، ثم يحملون تجارتهم على ظهور الدواب إلى القلزم، ومن هناك تنقل عبر البحر الأحمر مارة بموانيه الهامة مثل جدة، ثم يخرجون إلى بحر العرب متوجهين إلى ميناء عدن، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، وفي طريق العودة إلى أوروبا كانوا يحملون معهم سلع الشرق، فإذا وصلوا إلى القلزم، اتجهوا إلى الفرما أو الفسطاط والإسكندرية ومنها يبحرون إلى بروفانس، وأحيانًا كانوا يتوجهون إلى انطاكية أهم ميناء تجاري في الشام، وكذلك إلى القسطنطينية عاصمة الروم لبيع بضائعهم فيها، وقد قل دور اليهود الرازانية في تجارة الشرق مجال التجارة الخارجية مع بداية القرن الخامس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وأخذ في الاضمحلال بعد أن دخلت الحكومة الفاطمية في علاقات ومعاهدات تجارية مع المدن والدول الأوروبية، فضلا عن ذلك فقد استقرت أعداد من هؤلاء التجار اليهود زمن الفاطميين في مصر والهند واليمن، ويبدو أن اليهود الذين استقروا في مصر قصروا نشاطهم علي التجارة الداخلية والنشاط المصرفي والأعمال المالية[٩٦].

ويرى المؤرخون أن التجار من اليهود في مصر قد أسهموا بنصيب كبير في تجارة الكارم طوال عهد الفاطميين جنبًا إلى جنب مع التجار المسلمين، إذ كانت روح التعاون سائدة بين كل من احترف هذه المهنة من كل الأديان، كما كان لهؤلاء اليهود نشاط تجاري واسع بين مصر والهند واليمن والمغرب والأندلس، وكانت سفنهم تجوب الموانى التجارية الكبرى التي تقع علي سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي والبحر المتوسط ما أدى إلى قيام صلات تجارية وثيقة بين مصر والجاليات اليهودية التي وجدت بتلك الموانى وارتبط كثير من يهود مصر برباط المصاهرة مع يهود تلك الجاليات وقامت علاقات تجارية نشطة بين مشايخ التجار اليهود بالقاهرة وغيرهم من تجار يهود الشرق المشتغلين بتجارة الكارم[٩٧].

ج- الحماية التجارية:

أدت السلطة الفاطمية دورًا في حماية التجارة الخارجية وخاصة تجارة اليهود والكارم بصفة خاصة في ظل الحماية البحرية الفاطمية المتمركزة في ميناء عيذاب[٩٨] وغيرها من

الموانئ، والتي يرجعها جواتيان لأسباب مالية وليست سياسية، حيث يذكر أن التجار الأصغر اضطروا إلى مواجهة التحديات في البحر الأحمر(٩٩)، ولكن أن سياسة التسامح مع أهل الذمة التي اتبعها الفاطميون لم تنبع فقط من الشعور الديني أو الحاجة لجهودهم نظرا لخبرتهم ودرايتهم بخبايا الأمور الإدارية والتجارية ولكن كانت عبارة عن سياسة ممنهجة اتبعها الفاطميين في مصر حيث وجد أنفسهم في محيط عدائي مع أهل السنة وهم الأغلبية الكبرى من المصريين فقرروا الاعتماد عليهم بكونهم فئة نشيطة(١٠٠).

وباستعراض بعض الوثائق الفاطمية نرى أن الخلفاء الفاطميين كثيرا ما اصدروا توجيهاتهم ومنشوراته بتوفير الحماية البحرية للتجار والسفن في البحر كما جاء في المرسوم الذي اصدره الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٦-٥٤٤هـ/١١٣١-١١٤٩م) في ٢١ رجب ٥٢٨/١١٣٣م، لوقف حالات التعدي علي التجار والمسافرين والتي كانت تؤثر سلبا على سير حركة التجارة في منطقة الدلتا علي وجه الخصوص وباقي المناطق المصرية، نظير تعرض التجار الذين يسافرون إلى المناطق الساحلية لشراء بضائع لسوء المعاملة من جانب المسؤولين الحكوميين، مما أدى إلى تعطل أعمالهم التجارية، وهو ما تسبب ذلك في أضرار كبيرة للحركة التجارية فكانت أوامره بأن **"أنكر كل أذاية تقع علي التجار... ومراعاة التجار المترددين وحفظهم وصونهم والمنع من سخرة المراكب التي تكون حاملة بضائعهم وموسقة متاجرهم"**(١٠١).

كما يؤكد علي ذلك ناصر خسرو أثناء زيارته لمصر بأن "**بلغ آمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلى حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون دكاكينهم، بل يسدلون عليها الستائر، ولم يكن أحد يجرؤ علي مد يده إلى شيء منها**"، ولم يكن يتأتى ذلك إلا باستقرار الأمن وقوة الحكومة المركزية(١٠٢).

وفي حالات الاضطراب والفوضى التي أصابت مصر الفاطمية والتي ترتب عليها وجود أشكال للصراع وتأثيره على حركة التجارة الخارجية وقت الشدة المستنصرية وتنازع فرق الجند والتي أرجعها كثير من المؤرخين إلى "اختلاف الكلمة وحروب الأجناد، وكان الجند عدة طوائف مختلفة الأجناس، فتغلب لواتة والمغاربة علي الوجه البحري، وتغلب العبيد السودان علي أرض الصعيد، وتغلب المثلمة والأتراك بمصر والقاهرة، وتغلب المتغلبين علي الأعمال"(١٠٣)، ففي رسالة مؤرخه بعام ٤٥٩هـ/١٠٥٨م أرسلت من تاجر يهودي إلى وكيل

أعماله بالفسطاط ذكر أن هناك أخبار تؤكد وجود عدم وجود استقرار أمني بمصر وبالتالي لن يحضر إلى مصر بل سيتوجه إلى القسطنطينية حتى تستقر الأوضاع بمصر(١٠٤)، وفي رسالة مؤرخه في عام ٤٦٠هـ/١٠٥٩م أرسلت من تاجر يهودي إلى صديق له بالفسطاط ذكر فيها أن عدم استقرار الأوضاع فى مصر جعلته لن يأتي لمصر ويذهب لبلاد الشام(١٠٥)، وعلي الرغم من ذلك فقد وردت إشارة في وثيقة ترجع إلي عام٤٥٨هـ/١٠٦٧م جاء فيها أن أحد التجار الجنويين أرسل خطابا لصديق له يشجعه علي المجيء إلي مصر وذلك بسبب اهتمام الحكومة الفاطمية بالتجارة وقيامها بتقديم تسهيلات للتجار الوافدين عليها(١٠٦).

وتبيّن رسالة أرسلها زكري بن حنانيل من الإسكندرية في سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م إلى التاجر عروس بن جوزيف في الأندلس، أنَّ السفينة الأندلسية التي كان زكري سيسافر على متنها من الأندلس، سوف يتأخر إبحارها، لأنَّ السلطان في مصر قرَّر إفراغ هذه السفينة لتكون جاهزة لاستخدامها عند الضرورة في الحرب ضد الصليبيين الذين وصلوا للتوّ، وقد اضطر زكري من أجل ذلك لركوب سفينة متجهة إلى المهدية، وإلى إرسالِ رسالة إلى شريكه في الأندلس ليخبره بذلك(١٠٧).

ثالثاً: الزخم السلعي والتجاري للتجار اليهود في مصر الفاطمية:

سعياً منهم لاقتناء الجيد من السلع لم يقتصر التجار اليهود علي سلعة بعينها من السلع والبضائع ولكن كان التنوع والتعدد من السمات المميزة لهم، وهو ما تطلب مرونة كبيرة من جانب التجار والوكالات والشركات التجارية اليهودية(١٠٨)، منها ما تعلق بتجارة الهند ولم تكن سوى فرع من هذا التبادل كبير من البضائع بين العالمين الإسلامي والمسيحي للبحر الأبيض المتوسط .

الشركات التجارية:

تميز العصر الفاطمي بميزة انفرد بها عن غيره من العهود وهو السلمية التجارية حيث عمل بها المسلمين واليهود والمسيحيين بالإضافة للتجار الوافدين ويعملون معا بشكل وثيق في السعي وراء التجارة بين الشرق والغرب(١٠٩).

إن أهم ما قدمته وثائق جنيزة القاهرة، معلومات فائقة القيمة عن طبيعة العلاقات التي

ربطت اليهود في المشرق والعالم حتى بلاد الهند والصين، فحاولت العناصر اليهودية بخبرتها التجارية تكوين شبكة من الوسطاء من الحواضر المعروفة إلى غاية وصوله إلى المدن ودور الضرب والأسواق العالمية، وعلي إثر هذا فقد حظي التجار اليهود بدور كبير وفعال في حركة التبادل التجاري بين الغرب وبلدان الشرق الأقصى لامتلاكهم شبكة الشراكة التجارية الواسعة بين التجار اليهود؛ حيث ساد التعاون والتفاهم بين اليهود في جميع أنحاء العالم من الأندلس غربًا إلى الهِنْد والصِّين شرقًا، وأشارت وثائق جنيزة القاهرة لتلميحات ومعلومات عن أحوال المدن والبلدان التي يعيشون فيها(١١٠)، مما يؤكد أهمية الاتصال في التجارة الدولية التي احتكرها اليهود، بما يملكون من خبرة في التفاوض.

تكونت هذه الصلات التجارية الوثيقة مع يهود الشرق والغرب، فأسهموا برؤوس أموالهم في تجارة أبناء دينهم، حيث عد يهود الشرق من أنشط تجار العالم الإسلامي في هذه الحركة التجارية، وتكشف الجنيزة عن سفنهم التجارية وجالياتهم في الكثير من الموانئ والمدن التجارية، فوفد لمصر الكثير من يهود الشرق المشتغلين بالتجارة لممارسة نشاطهم بها، واتخذ بعضم من مصر مستقر له، وعلي سبيل المثال يعقوب بن كلس اليهود الأصل عمل وكيلًا للتجار بمدينة الرملة بفلسطين قبل مقدمه إلى مصر(١١١).

وقد تميزت تلك الشراكات بين ملاك السفن التجارية وأولئك التجار بروابط وترتيبات قانونية خاصة في ظل وجود المحاكم اليهودية والتي كانت تحفظ أطر هذه الشراكات، فقد تم تحديد النسب والاستثمارات من كل شريك، وتوزيع الأرباح أو الخسائر، وكان الشركاء يحتفظون بقوائم دقيقة جدا من الكميات والأسعار، وكذلك جميع المصاريف الأخرى المترتبة على نقل وشحن البضائع، مثل الأجور المدفوعة للحمالين وعمال التحميل والتفريغ، فضلا عن مبالغ الرشاوى دفعت إلى المسؤولين الذين يتعاملون مع التجار نيابة عن السلطات، هذا في الوقت الذي وجدت بعض هذه الشراكات بين اليهود والمسلمين(١١٢).

تجار يهود ومسلمين:

سعت بعض العائلات اليهودية لإقامة شراكات تجارية مع تجار مسلمين، إذ كانوا -أي التجار المسلمين- أهل ثقة بالنسبة للتجار اليهود كما تؤكد على ذلك رسالة أرسلها تاجر

يهودي يقول فيها "**أرسل البضائع معهم دون خوف**"، وفي غيرها يشكر تاجر يهودي أخر مسلم علي حفاظه علي أمواله وإرسالها إلى أهلة بطريقة آمنة[١١٣]، كما نجد في أوراق الجنيزة أدعية وتمنيات طيبة من تجار يهود لتجار مسلمين حملوا أماناتٍ معهم للتجار اليهود، كذلك نجد قيام بعض المشاركات في الأعمال التجارية بين المسلمين واليهود، وأنَّ اليهود كانوا يزورون بيوت شركائهم في العمل من المسلمين، ويهنئونهم في أيام الأعياد[١١٤]. كما تظهر بعض الخطابات وجود شركة تجارية بين شراكة بين اثنين من أبناء عمومة التاهرتي، برهون بن إسحاق و برهوين بن صالح، وتاجر مسلم هو عبد القاسم عبد الرحمن للمتاجرة في اللؤلؤ[١١٥].

وكثيراً ما وضع التجار اليهود ثقتهم في التجار المسلمين، ويأمنونهم على بضائعهم، وقد جاء في إحدى رسائل الجنيزة: "إذا **كانت هناك قافلة، وكان يسافر فيها مسلمون مؤتمنون، تكرّم بإرسال البضائع معهم**"[١١٦]، كما تؤكد الجنيزة علي وجود نوع من أنواع الشراكة التجارية بين التجار اليهود والمسلمين كما في إحدى الرسائل المؤرخة في عام ٤١٠هـ/١١١٩م أرسل التاجر **اسحاق النيسابوري** بالإسْكَنْدَرِيّة إلى التاجر **أبى العلاء صاعد يوسف الدمشقي** بالقاهرة بقوله "**أما بالنسبة للحَرِير فإنه عند وصول المركب الأنْدُلُسي توقفت الأعمال التجارية فلم يشتر أحد ولم يبع أحد...ولما تأخر وصول جميع المراكب رغب التجار في الشراء... يسود قلق واضطراب كبيران بشأن المراكب... لم يبع أحد ولن يبيع أحد إلى أن يُعرف ما سيحدث**"[١١٧].

الوكلاء التجاريين:

تشير الرسائل المتبادلة إلى وجود الوكلاء والمناديب التجاريين للتجار البارزين لأنهم كانوا في حاجة لوكلاء ثقات يعملون معهم، إذ نرى في رسالة أرسلها يهودي من الأندلس ليهودي في الإسكندرية يطلب منه أن يكون وكيلاً له هناك، فاشترط الأخير لقبولِ هذه الوكالة أن لا يتحمل مسؤولية الخسارة الناجمة عن مخاطر الرحلات التجارية، وأن لا يُطالب بحلف اليمين[١١٨]، نظرًا لأهمية الشركاء والمناديب التجاريين فقد خول لهم باستلام البضائع المرسلة إليهم والتخلص وبيعها، ونقل الأموال، وتحويل الأرباح من المبيعات إلى بضائع، فضلا عن التزويد بمعلومات عن أسعار السوق الحالية، ومعدلات صرف العملات، والطلب على السلع

الأساسية، وغيرها من المعلومات المهمة للتجار اليهود، هذا بخلاف مواعيد مغادرة السفن ووصولها[١١٩]، كما في الرسالة أرسلها سليمان بن إبراهيم الرقي بالفسطاط إلى ابن عمه فرج بن نسيم الرقي بالإسكندرية وذلك في اواخر القرن ١١م يذكر فيها "**فجباب الخز لا تسوي شيئا فالجبة تباع بأقل من أربعة دنانير الرجاء إعلام أبى الحسن بذلك**"[١٢٠].

وهناك رسائل متبادلة بين تجار يهود وصلوا إلى الإسكندرية وبين شركائهم في الأندلس، وتبيِّن إحدى هذه الرسائل أنَّ نوعيات من السلع والبضائع كانت رائجة ودائمة الطلب كالصوف المصبوغ ويجلبها بعض التجار اليهود من مصر إلى الأندلس[١٢١]، وتبيِّنُ رسالة أخرى أنهم جلبوا منها أيضاً المسك، ونقلوا إليها العنبر[١٢٢].

واتسمت الشركات التجارية اليهودية بين شريكين أو أكثر، يعملان سويًا علي انجاز الأعمال الموكلة لكل منهم وذلك حسب الاتفاق كما حدث في تجارة الكتان المصرية بين التجار اليهود[١٢٣]، لهذا فقد أشارت الجنيزة لأهمية الشراكة، وضرورة القيام بالأعمال التجارية في نطاق الشركة وليس بصورة مفردة، حيث أرسل جوزيف بن موسى التاهرتي من المهدية إلى أخوه برهون في الفسطاط يقول له " **أنا أعلم أن لا أحد يتجار في الكتان بمفرده**" وكان ذلك في يوليو ١٠٤٠م[١٢٤].

وتمحورت معظم الرسائل والخطابات بين الشركاء التجاريين حول الأسعار وجودة المنتجات، وهو ما يعطينا صورة عن طبيعة الاحتكارات اليهودية التجارية والتي دائما ما كانت تسعى إلى احتكار الجيد والنفيس والبعد عن الرديء والسيء، ففي رسالة كتبت في القرن الحادي عشر يشكو كاتبها من تدهور أسعار الفلفل والبهار في تونس ويرويها لشريكه في مصر بقوله "**ولكن يا أخي لا اريد أن آخذ الأرباح بمفردي، وبعد ذلك أرسلت المبيعات إلى شريكنا**"[١٢٥].

إذ يعتبر تاريخ الشركات التجارية في الهند وتأثيرها على تنظيم التجارة بين الهند والبلدان الإسلامية من الأمور الهامة لدارسة الوضع التجاري لليهود في مصر في العهود الفاطمية[١٢٦].

بالإضافة لشركات التجارة الهندية فقد تعامل التجار اليهود المصريين مع يهود

الاندلس لإرسال المنتجات إليهم والتي بنيت تلك المتاجرة علي مبدأ الثقة خاصة اليهود، ففي رسالة مستهل القرن ٦هـ/١٢م أُرسلت شحنة من الصُّوف من الإسْكَنْدَرِيّةِ إلى المَرِيَّة وأن " إجمالي تكاليف الشحن ستة دنانير، دفعت منها ثلاثة دنانير وسوف يدفع الباقي في المَرِيَّة بعد الوصول بالسلامة"(١٢٧). وهذا يؤكد علي اللوبي اليهودي التجاري في العصور الوسطى والذي انتشر في كافة أرجاء المتوسط، وتشير عدة خطابات منها ما أرسله التاجر **موسى بن يحى المجانى** إلى التاجر **بنيامين بن يوسف** عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م، وفي خطاب التاجر **صامويل الدانى** من باليرم إلى **أبى إسماعيل بن إبراهيم** يذكر فيه أنه أرسل أكثر من عشرة أرطال من الحَرِير بتكلفة عشرة دنانير إلى زوجته المطلقة فى مصْر ليوفى لها ما اشترط عليه فى عقد الزواج، وهناك إشارات أخرى تظهر في خطاب التاجر **حسن بن اسحاق الخولانى** إلى **ابن عوكل** فى مطلع القرن ٥هـ/١١م(١٢٨).

أشهر التجار اليهود في مصر الفاطمية:

١. ابن عوكل:

من أبرز التجار اليهود الذين اشتهروا في مصر إبان العصر الفاطمي وكان لهم الباع الطويل والخبرة الكبيرة هو أبو يعقوب أبو الفرج يوسف بن يعقوب بن عوكل، أو كما عرف يوسف بن يعقوف بن عوكل، فكان علي حق تاجر عظيم بكل معنى الكلمة، باعتباره عضواً بارزًا في مجتمع الأعمال التجاري المصري، بالإضافة لأنه زعيمًا طائفيًا يهوديًا بارزًا، وعمل كوسيط بين الطوائف اليهودية المغاربية والطوائف الشرقية اليهودية (يشيفوت) في العراق وفلسطين، فاعتبرت مراسلاته ذات أهمية كبيرة من حيث المضمون والأهمية عن بقية التجار اليهود الأخرين، كونها وثيقة ودليل مهم ليس فقط للتاريخ اليهودي أو الإسلامي -الفاطمي- ولكن للتاريخ الاقتصادي بشكل عام وذلك علي خلاف الكثير من التجار اليهود والذي امتلكوا مكانة متواضعة إبان تلك الفترة(١٢٩)، حيث توضح مراسلات ابن عوكل في وثائق الجنيزة، أن يهود مصر في العصور الوسطى كانوا نشطين بشكل خاص في تجارة الكتان(١٣٠).

اعتبر التنويع في السلع والصادرات من السمات المميزة للتجار في تلك الفترة والذي تبرزه وثائق الجنيزة، وهو ما تطلب مرونة كبيرة من جانب التجار والوكالات والشركات

التجارية، وعد ابن عوكل مثل العديد من التجار الآخرين في هذه الفترة تعامل مع مجموعة هائلة من السلع والبضائع المتنوعة والمختلفة بدرجات جودتها[١٣١].

بالإضافة لذلك احترف ابن عوكل المتاجرة في الأحجار الكريمة خاصة مع الأسرة الحاكمة، فامتلك العديد من المكاتب التجارية في مصر في الفسطاط والقاهرة، وتميزت مكاتبه التجارية بأن له قاعة استقبال (مجلس) بالفسطاط بالإضافة للمكاتب الأخرى[١٣٢]، بالإضافة لمؤسساته التجارية في الفسطاط، كان عملاء - العمال والشركاء والمناديب التجاريين- ابن عوكل منتشرين بالريف المصري لشراء المواد الخام للكتان لشحنها أو ومعالجتها جزئيا[١٣٣]، هؤلاء العملاء من اليهود والمسلمين والمساعدين العبيد والفريدين حافظوا وراعوا مصالحه في ربوع مصر وخارجها[١٣٤]، وتركزت أعمالهم في استلام البضائع المرسلة إليهم وبيعها، ونقل المال والأرباح، وتحويلها عن طريق شراء بضائع أخرى يرغب فيها ابن عوكل ويرغب بها التجار، فضلا عن دوريهم في نقل المعلومات والبيانات الخاصة بأسعار السوق الحالية، ومعدلات صرف العملات، والطلب على السلع الأساسية، وغيرها من المعلومات المهمة للتجار اليهود، هذا بخلاف مواعيد مغادرة السفن ووصولها[١٣٥].

وتظهر العديد من المراسلات أن ابن عوكل كان يغلب مصالحه التجارية على أي شيء أخر ففي رسالة مؤرخة ما بين ١٠٢٠ -١٠٣٠م من قبل موسى بن حيصدا الوكيل لابن عوكل وأحد عملائه المعروفين في الريف المصري خاصة في البوصير وأشمونين، حيث يشير إلى أنه يعاني من مشكلة عمالية كبيرة ناجمة عن تضخم الأجور وارتفاعها ومنافسة بعض التجار والصناع ونقص في العملة، فجاءت خطاباته تحمل فحملت لهجة يائسة إلى حد ما، خاصة بعد تهديد رئيس العمال أنه إذا لم يتم دفع الرواتب لجميع العمال واعطائهم طعامهم اليومي فإنهم لن يعملوا ويطالبه بإنقاذ الوضع، فاقترح في الرسالة "أنه إذا لم يكن أحد آخر متاحا ينبغي أن يرسل ابنه الأكبر أبو الفضل[١٣٦].

كما امتد النشاط التجاري لابن عوكل إلى صقلية كما في خطاب التاجر **حسن بن إسحاق الخولاني** إلى **ابن عوكل** فى مطلع القرن ٥هـ/١١م[١٣٧]، وفي هذا دليل علي أن التجارة والمرابحة ليس لها دين أو عرق أو جنس ولكن الفيصل فيها هو الربح والمكسب.

خلفون بن ناتانئيل:

أبرز التجار اليهود المصريين من أبناء مدينة دمياط وهو أحد التجار الجائلين في عالم العصور الوسطى خاصة خلال القرن ٥هـ/١١م، امتدت صفقاته التجارية شرقاً وغرباً، اطلق عليه في خطابات الجنيزة بأنه "الرجل الذي يعد أهم شخصية بين زعماء عهده"(١٣٨)، ذاع صيته في مصر والأَنْدَلُس وكان زعيمًا لطائفته في مصر لكثرة نشاطاته التجارية ما بين ٥١٩هـ/١١٢٥م- ٥٤١هـ/١١٤٦م، ما دفع العديد من التجار اليهود وغيرهم للعمل بالتجارة معه ومشاركته(١٣٩)، فجاب الهِنْد والمغرب واليمن والأندلس(١٤٠).

له العديد من الوكلاء والعملاء في كل المدن والموانئ الرئيسية في مصر وخارجها والبحر المتوسط، حيث تذكر رسالة أرسلت له من عدن عام ٥٣١هـ/١١٣٧م بكشف لحساب شحنات تجارية من الهند عن سنة سابقة له(١٤١).

أبو سعد التستري:

هو أبو سعيد التستري اليهودي (ت٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) مدبر أمور الدولة الفاطمية في الأيام الأولى بوزارة الفلاحي في خلافة المستنصر بالله، استغل نفوذه وصلته بقصر الخلافة، لأنه هو الذي جاء بأم الخليفة المستنصر، لذا فقربته ورقته درجة عالية من بين التجار اليهود(١٤٢)، الحق الكثير من اليهود بمناصب الدولة المهمة وولاهم الوظائف الكبرى (١٤٣).

وقد نبغ وبرع أبو سعد في الأعمال التجارية فكان من أكبر التجار الأثرياء الذين عملوا في تجارة الجواهر والتحف الثمينة بالإضافة إلى تجارة الرقيق فاكتسب ثقة التجار في داخل مصر وخارجها ولأمانته، حيث يذكر المقريزي عنه بقوله "قد نبغ في أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديَّان ينصرف أحدهما في التجارة والآخر في الصرف ويبع ما يحمله التجار من العراق، وهما أبو سعد إبراهيم وأبو نصر هارون ابنا سهل التستري، واشتهر من أمرهما في البيوع وإظهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفتقد من التجار في القرب والبعد، ما ينشأ به جميل الذكر في الآفاق فاتسع حالهما لذلك واستخدم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبا سعد إبراهيم بن سهل التستري في ابتياع ما يحتاج إليه من صنوف الأمتعة، وتقدم عنده فباع له جارية سوداء فتحظى بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر، فرعت لأبى سعيد ذلك، فلما أفضت الخلافة إلى المستنصر ولدها، قدمت أبا سعيد وتخصصت به في خدمتها"(١٤٤).

ويضيف ناصر خسرو عن أبو سعد هذا بقوله "واسم هذا اليهودي المقتول أبو سعيد، وكان له ابن اخ، وقيل أنه لا يعرف مدى غناه إلا الله، فقد كان علي سقف داره ثلاثمائة جرة من الفضة زرع في كل منها شجرة، كأنها حديثة، وكلها أشجار مثمرة، وقد كتب أخوه لما ملكه من الفزع رسالة للسلطان يقول فيها: أني أقد للخزانة مائتي ألف دينار مغربي حالاً، فأمر السلطان بعرض الرسالة علي الناس وتمزيقها علي الملا وقال: كونا آمنين وعودوا إلى بيتكم، فليس لأحد شان بكم، ولسنا بحاجة لمال أحد، واستمالهم إليه"(١٤٥).

نيهورى بن نسيم:

من الأشخاص البارزين والذين تزعموا وخدموا اليهود في مصر وقدموا لهم العديد من الخدمات الاجتماعية والاقتصادية وهو ما اشارت إليه الجنيزة(١٤٦)، كما اعتبر نيهوراي بن نسيم من التجار الكبار الذين اشتهروا في تلك الفترة، والذي امتلك العديد من المناديب التجاريين في كافة الموانى والمراكز التجارية لفحص والتأكد من النوعيات المتفق عليها وهو ما يؤكد علي سياسة الاحتكار التجاري للجيد والنفيس من التجارات المتوسطية، ففي رسالة طلب **نيهوري بن نسيم** من التاجر **يوشا بن إسماعيل المخموري** أن يفحص ويراجع قافلة من الحَرِير قادمة إليه من **الإسْكَنْدَرِيّة** تحمل أنواعا مختلفة من الحَرِير كالحَرِير (١٤٧)، كما تؤكد إحدى حسابات **نيهورای بن نسيم** لعام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م والتى يُستشهد منها بوجود دخل مالى وأرباح نتيجة المتاجرة بالحَرِير الأَنْدُلُسي في الأسواق المصرية وغيرها من الأسواق المجاورة(١٤٨).

وفي بيان تجاري موقع من أبناء التاجر اليهودي **إسحاق التاهرتي** يوضح كميات الكَتَّان الكبيرة التي غادرت مصْر في طريقها لأسواق الغرب الإسلامي والمؤرخ في ٤١٦هـ/١٠٢٥م والتي بلغت ثلاثة أطنان من الكتان، وفي بيان أخر عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م لصالح **نيهواري بن نسيم** منها شحنات ضخمة من الكَتَّان زنة كل شحنة (٤٥٠ رطل أو ٢٠٠ كيلو)، وذكر أنه تم نقل (١٥) شحنة من الكَتَّان وبعدها نقلت ثماني شحنات أخرى(١٤٩).

وفي خطاب مؤرخ في ٤٤٣هـ/ابريل ١٠٥١م مرسل من الإسْكَنْدَرِيّة كتب التاجر **نيهوراي بن نسيم** أنه تم نقل (٢٢) حمولة وتوقع وصول شحنات إضافية، كما ذكر التاجر **لفرج بن إسماعيل** في مصر باحتمال وصول (١٠٠) شحنة، وكتب التاجر **جوزيف بن موسى**

التاهيرتي في صيف ٤٣٠هـ/١٠٣٨م عن (١٢٦) شحنة كَتَّان بتفاصيل بسيطة وعن كيفية الحصول عليها ونقلها(١٥٠).

وفي خطاب مؤرخ في ٤٤٠هـ/ يناير١٠٤٨م من التاجر **برهون بن اسحاق التاهيرتي** من **المهدية** إلى **نيهوراي** المسافر لمصْر لشراء الكَتَّان ينصحه قائلاً "**أجمع افضل أنواع الكَتَّان التي يمكنك أن تجمعها من الصعاليك**" ويقصد هنا بالصعاليك الفلاحين المصريين(١٥١).

كما امتدت تجارة نيهوراي وعائلة التاهرتي مع غيرهم من التجار اليهود المنتشرين في مصر وخاصة في الاسكندرية كما ذكر في الخطاب المؤرخ في ١٠٦٢م من الإسكندرية وبه قائمة من شركائه حييم بن عمار، وديفيد بن شاعيا، وديفيد بن عزرا، وغيرهم من التجار اليهود(١٥٢).

تجار آخرين:

من بين أشهر التجار اليهود في مصر وكان لهم علاقات تجارية خارجية؛ التاجر اليهودي سعدان البغدادي أحد التجار اليهود الذين استقروا مدَّة من حياتهم في الأندلس، واحتوت وثائق الجنيزة على رسائل كتبها بيده من الأندلس لوكلائه وشركائه في مصر وكان كثير التنقل، وتنوعت خطاباته ما بين الأندلس والمغرب ومصر(١٥٣).

وكذا التاجر مخلوف بن موسى فكان دائم السفر بين الأَنْدُلُس والهِنْد(١٥٤)، وعمل علي جلب وتصدير للسلع والبضائع(١٥٥).

كما يؤكد خطاب أخر التعاون بين اليهود في مجال النقل التجاري ففي رسالة مؤرخة في أواخر القرن ٥هـ/١١م مرسلة للتاجر **أبى الفرج بن نسيم الرقي** بالإسكندرية، من التاجر **سلمان بن إبراهيم الرقي** بالفسطاط، تذكر بشأن الأقمشة المغربية " فقال أنه أوصى بإحضارها إلى هنا **[**الفسطاط**]**... أرجو إرسال هذه الأقمشة إذا وجد من ينقلها"(١٥٦).

التجار اليهود والاحتكاري للكتان المصري:

من الأسباب التي أدت لتزعم الكتان العمليات التجارية في الجنيزة وبصفة خاصة في العصر الفاطمي هو -وعلي حد تعبير أحد الباحثين- رغبة السلطة الحاكمة في زيادة الانتاج الزراعي للكتان لرغبتهم في تحويل حصتها من الإنتاج الزراعي بأسرع ما يمكن إلى النقد

لدعم الحكم والجيش والموظفين، فسمح للتجار بالسفر إلى المناطق الريفية والمدن الكبرى للحصول على الكتان وغيرها من المنتجات الأخرى"، حيث كان الكتان بمثابة "المحصول النقدي" لهم، إذ كان للمحصول الصناعي الأسبقية على محصول غذائي وهو الغلال. حيث كانت زراعة الكتان أكثر ربحية من الحبوب من وجهة نظر المزارعين(١٥٧).

وأشرفت السلطة الفاطمية علي تجارة الكتان وجمع الضرائب الواجبة عليه، وازداد إشراف السلطة الفاطمية من خلال وجود دار الكتان، وقد ذكر دار الكتان في عدد من الرسائل كما في الرسالة التي كتبها نسيم بن خالفون من تينس؛ حيث يذكر الشخص المسؤول عن تحصيل الضرائب بدار القطان، ومن اشهر تلك الدور هي الموجودة بالإسكندرية، حيث وجب علي التجار أن يدفعوا لدار الكتان وذلك ربما لدعم الدولة أو مقابل تخزين الكتان بمخازن الميناء، وكانت الكثير من صفقات الكتان تتم بدار الكتان حيث ختمت جميع العقود وكذلك الحمولات بخاتم الدار، حيث كان من الضروري لإنزال أي حمولة من الكتان احضار شهادة من دار الكتان، ولم تكن هذه الشهادة لتصدر إلا بعد دفع الضرائب المقررة(١٥٨).

هذه الأدلة الوثائقية في الجنيزة تبرز دور الكتان في الاقتصاد المصري من خلال المراسلات الخاصة وبراءات الشحن للتجار اليهود، والتي غطت القرنين الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، فكانت الصناعة الرئيسية خلال فترة القرون الوسطى وكان الكتان المحصول الصناعي الرئيسي في مصر، وصدرت إلى بلاد المغرب والشرق الأدنى وأوروبا(١٥٩).

كما يظهر في خطاب مؤرخ في ٤٤٠هـ/ يناير١٠٤٨م من التاجر **برهون بن اسحاق التاهيرتي** من **المهدية** إلى **نيهوراي** المسافر لمصْر لشراء الكَتَّان ينصحه قائلاً "أجمع افضل أنواع الكَتَّان التي يمكنك أن تجمعها من الصعاليك" ويقصد هنا بالصعاليك الفلاحين المصريين، وفي نفس الرسالة ينصح أحد التجار اليهود وهو **جوزيف بن موسى** أخوه الأكبر **برهون** بالتأكد من أن يكون هناك شخص أخر معه عندما يذهب لشراء الكَتَّان وأن يأخذ معه هدية لسمسار وهو الشخص المكلف بإرشاد التاجر اليهودي إلى حقول الكتان خاصة الجيدة والمعروفة بنوعيتها بقوله "أعطه قدر ما تستطيع لأنه الوحيد الذي سيساعدك"(١٦٠).

الخاتمة:

في نهاية العرض يتضح أن اليهود في مصر في العصر الفاطمي حظوا بوضع اجتماعي انعكس بدوره علي تطور أوضاعهم ومراكز استقرارهم الاقتصادية والتجارية، من خلال ما حفظته لنا الجنيزة من وثائق ومعلومات فائقة القيمة والمبرزة للعلاقات الوثيقة التي ربطت اليهود في مصر بباقي أفراد المجتمع والسلطة الحاكمة.

كما تعطي وثائق الجنيزة دلائل علي أن اليهود المصريين قطنوا معظم البلدان والمدن اليهود فانصهروا في نسيج المجتمع المصري واندمجوا بين طياته ووصلوا لدرجة كبيرة من التعايش وحُسن الجوار طبقا للعادات والتقاليد المصرية.

هذا وقد تمتع اليهود بالولاية الكاملة على شؤونهم الداخلية سواء الدينية وكذلك العقائدية، ومكنت هذه الحالة اليهود من العيش وفقا لمقتضيات قانونهم الاجتماعي والديني، ما ساعدهم لأن يحتلوا موقعًا متميزًا في عالم البحر المتوسط كرجالً للشؤون الدينية والتجارية.

لهذا فالإعاقات التي فُرضت علي اليهود لم تكن إلا اعاقات نظرية فقط كما تؤكد علي ذلك الجنيزة، ولم تدخل حيز التنفيذ والممارسة بدليل الامتيازات التي حصلوا عليها من واقع علاقاتهم الفعلية للسلطة الإسلامية.

هوامش البحث

(١)- جواتياين: دارسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تحقيق: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، (الكويت، ١٩٨٠م)، ص٢١٢-٢١٣.

(٢)- أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ج٢، (الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧م)، ص١٦٢.

(3)S. D. Goitein: The Documents Of The Cairo Geniza As A Source For Mediterranean Social History, Journal Of The American Oriental Society, Vol. 80, No. 2. (Apr. - Jun., 1960), Pp. 98

(4)- S. D. Goitein: The Social Services Of The Jewish Community As Reflected In The Cairo Geniza Records (II), Jewish Social Studies, Vol. 26, No. 2 (Apr., 1964), P P.78

(٥)- اوليفيا ريمي كونستبل: التجارة والتجار في الأندلس، تعريب: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، (الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١٥٨.

(٦)- موسى بن ميمون: المتوفى في مصر سنة (٦٠٥ هـ/١٢٠٤م) من أشهر عالم على الإطلاق أنجبه يهود يسميه العرب موسى بن ميمون عبيد الله، ويسميه الأوربيون "ميمونيدس"، ويختصر اليهود اسمه إلى "رمبم"، ولد بقرطبة سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)، وتربى في بيئة علمية، عمل والده ميمون التلمودي قاضياً، بعد أن تخرج من مدرسة الفاسي بأليسانة، وتعلم موسى الكثير من الأدب العربي والعبري قبل أن ترحل عائلته من قرطبة إلى المرية سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م)، وفي المرية تلقى موسى المزيد من التعليم الديني، كما درس الفلسفة والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية على أيدي الأساتذة المسلمين؛ وصار لابن ميمون توجهاً فكرياً خاصاً وحماساً لكتابة أفكاره، ورغبة في تطوير الدراسات التلمودية، فبدأ في سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م) بكتابة تفسير شامل للميشنا، وقد انتهى منه بعد عقد كامل. وفي سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) هاجرت عائلة ابن ميمون إلى فاس؛ وهناك تتلمذ موسى على يدي علم يُدعى يهوذا الكاهن؛ ولم تستقر أسرة ميمون طويلاً في فاس، بل تركتها حوالي سنة (٥٦١هـ/١١٦٥م)، وأبحرت إلى عكا ثم إلى مصر، واستقرت في مدينة الفسطاط أحد الطلاَّب اليهود الذين تلقوا علمهم في الأندلس، ويقول عنه ابن العبري: "وكان قد قرأ عِلْمَ الأوائلِ بالأندلس، وأحكم الرياضيات، وقرأ الطِّبَ هناك فأجاده". خالد يونس الخالدي: اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (٩٢- ٨٩٧هـ = ٧١١- ١٤٩٢م)، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد،١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، ص٢٣٢.

(7) Goitein: Letters Of Medieval Jewish Traders, Princenton University December , 1972, P.208.

(8)S. D. Goitein: The Documents Of The Cairo Geniza , P. 98

(9) Goitein: The Social Services Of The Jewish Community, P.78

(10) Goitein: The Social Services Of The Jewish Community, P.78

(11) Norman A. Stillman: The Eleventh Century Merchant House Of Ibn 'Awkal (A Geniza Study) , Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 16, No. 1 (Apr., 1973), P18.

(١٢)- بنيامين التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي (ت٥٦٩هـ): رحلة بنايمين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، المجمع الثقافي، (أبوظبي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م)، ص٣٤٧.

(١٣)- بنيامين التطيلي: المرجع السابق، ص٣٤٨.

(١٤)- نفسه، ص٣٤٨.

(١٥)- نفسه، ص٣٥٤.

(١٦)- نفسه، ص٣٥٤.

(١٧)- نفسه، ص٣٥٥.

(١٨)- نفسه، ص٣٥٥.

(١٩)- نفسه، ص٣٥٩.

(٢٠)- نفسه، ص٣٥٩.

(21)- Moshe Gil: The Flax Trade In The Mediterranean In The Eleventh Century A.D. As Seen In Merchants' Letters From The Cairo Geniza, Journal Of Near Eastern Studies, Vol. 63, No. 2 , April 2004, P.84.

(22)-Moshe Gil: Op.Cit., P.89.

(23)-Norman Golb,Et: Legal Documents From The Cairo Genizah , Indiana University Press , Jewish Social Studies, Vol. 20, No. 1 (Jan., 1958), P.32.

(24)-Mark R. Cohen: Correspondence And Social Control In The Jewish Communities Of The Islamic World: A Letter Of The Nagid Joshua Maimonides , Jewish History, Vol. 1, No. 2 , Fall, 1986), P.39

(٢٥)- مصطلح طقسي مسيحي ويعني الطقوس القبطية الأرثوذكسية.

(26)-Mark R. Cohen: : Op.Cit., P.28.

(27)-Civil Jurisdiction Over Jews, P.36

(٢٨)- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي أبي العباس (٨٤٥هـ/١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مؤسسة الفرقان، (القاهرة، ٢٠٠٢م)، مج ٤، ص٩٢٢-٩٤١.

(29)-Civil Jurisdiction Over Jews, P.37

(٣٠)- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، (بيروت - لبنان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م)، ج٢٦، ص٥٠؛ سلام شافعي محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م)، ص٨٧-٨٨.

(31)-Mark R. Cohen: On The Origins Of The Office Of Head Of The Jews In The Fatimid Empire , P.29.

(32)-Mark R. Cohen: Op.Cit., P.30.

(33)-Elinoar Bareket: The Head Of The Jews (Ra'is Al-Yahud) In Fatimid Egypt: A Re-Evaluation , Bulletin Of The School Of Oriental And African Studies, University Of London, Vol. 67, No. 2 (2004), P. 185.

(٣٤) - فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية: من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى، ج٢، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠م)، ص٢٤٦.

(٣٥)- ابن الأثير: الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، ج٧، (دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣م)، ص٤٧٧.

(36)- Goitein: The Social Services Of The Jewish Community, P.77

(37)-Elinoar Bareket: The Head Of The Jews , P. 187 -188

(38)-Norman Golb,Et: Legal Documents From The Cairo Genizah, P.32.

(39)-Elinoar Bareket: The Head Of The , P. 187.

(٤٠)- الناجيد: تعود بداية ظهور لقب الناجيد للفاطميين، وهو يأتي على رأس المجتمع اليهودي ذلك الرجل الذى حمل لقب الناجيد ومنصب النجيد له من الاهمية في المجتمع اليهودي فى استقبال اليهود الغرباء واستضافتهم بكل كرم وهو من المناصب الدينية والإدارية لليهود. وظل بجد اليهود مجمل لقب امير طية العصر الإسلامي حتى العصر العثماني. علي أحمد محمد: اليهود في شرق البحر المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦م)، ص١٥٨.

(41)-Mark R. Cohen: Correspondence And Social Control In The Jewish, P.41

(42)- Elinoar Bareket : Op.Cit., P. 187 -188

(43)-Mark R. Cohen: Op.Cit., P42.

(44)-Mark R. Cohen: Op.Cit., P31.

(٤٥)- جواتيان: المرجع السابق، ص٢٠٣.

(٤٦)- جواتيان: المرجع السابق، ص١٩٤.

(٤٧)- كونستبل: المرجع السابق، ص١٥١.

(48)- S. M. Stern: Three Petitions Of The Fāṭimid Period, Oriens, Vol. 15 (Dec. 31, 1962), P. 179.

(49)- Elinoar Bareket: Op.Cit., P. 185.

(٥٠)- ابن مماتي أسعد بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن نينا (ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م): كتاب قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سريال، (مكتبة مدبولي، ١٩٩١م)، ص ١٢٣؛ فاطمة مصطفى: المصدر السابق، ج٢، ص٥٠.

(٥١)- ابن مماتي: المصدر السابق، ص٣١٨.

(52) - Goitein: The Social Services Of The Jewish Community, P.76

(53)-Goitien : From Mediterranean To India Documenton The Trade To India , Speculum - Vol - Xxix - 1954, P.243-244

(٥٤)- الطيبي: المرجع السابق، ج٢، ص١٥٦.

(55) -Eli Alshech: Islamic Law, Practice, And Legal Doctrine, P. 367.

-(56) Goitein: Op.Cit, P.284-285

(٥٧)- فاطمة مصطفى: المرجع السابق، ج٢، ص٤٤.

-(58) Goitein: Op.Cit., P.285

(٥٩)- جواتيان: المرجع السابق، ص٢٠١.

(60)-Elinoar Bareket: Op.Cit., P. 191.

(٦١)- فاطمة مصطفى: المرجع السابق، ج٢، ص٤٣

(62)- Eli Alshech: Islamic Law, P. 367.

(٦٣)- جواتيان: المرجع السابق، ص٢٠٢.

(64)- Goitein: The Social Services Of The Jewish Community, P.78

(65)- Goitein And Mordechai Akiva Friedman: India Traders Of The Middle Ages Documents From The Cairo Geniza (India Book), Brill, Leiden , Boston, 2008, P.212

(66)- Goitein: India Traders., P. 217-218.

-(67) Goitein: The Documents Of The Cairo Geniza As A Source For Mediterranean, Pp. 98

(٦٨)- فاطمة مصطفى: المرجع السابق، ص١٢٦.

(69)-Norman A. Stillman: The Eleventh Century Merchant House Of Ibn 'Awkal (A Geniza Study) , Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 16, No. 1 (Apr., 1973), P16.

(٧٠)-بدر الجمالي (٤٦٦-٤٨٧هـ١٠٧٣-١٠٩٤م): هو بدر بن عبد الله الجمالي الأرمني كان مملوكاً لجمال الدولة بن عمار، لذلك قيل له الجمالي، تولى الوزارة في مصر في خلافة المستنصر بالله، عرف عنه أنه رجلاً عزوف النفس شديد البطش عالي الهمة توفي عام (٤٨٧هـ/١٠٩٤م). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلف، تحقيق: جمال الدين الشيال (ج١) - محمد حلمي محمد أحمد (ج٢، ٣)، ج٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (القاهرة، ١٩٩٦م)، ص٣٢٩-٣٣٠.

(71)-Civil Jurisdiction Over Jews, P.37

(٧٢)- السيدة رصد: أم الخليفة المستنصر وكانت في الأصل جارية لأبى سعد التستري الذي تولى الوزارة للمستنصر بالله، وكانت من عبيد الشرا السود وقد اتخذت ديواناً خاصًا لإدارة شؤونها، كما اتخذت لنفسها توقيع خاص بها، تلقبت بالسيدة الملكة وكان يشار إليها بالجهة الجليلة والستر الرفيع. المقريزي: الخطط، ج ٢، ص١٥٨؛ اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٦٦-١٦٧.

(٧٣)- المقريزي: الخطط، مج ٢، ص١٩٤.

(٧٤)- المقريزي: الخطط، مج ٢، ص٣٩٨؛ فاطمة مصطفى: المرجع السابق، ص١٤٨.

(٧٥)-نضال حميد السعيد: "الأزمات الاقتصادية التي أصابت مصر في خلافة المستنصر بالله الفاطمي"، مجلة كلية التربية، بغداد، العدد الثاني، ٢٠٠٨م، ص٥٤٢.

(76)-Norman A. Stillman: Op.Cit., P16.

(77)-Moshe Gil: The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century Geniza Documents, Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 46, No. 3 (2003), Pp.274.

*-الفلورين (Florin): من العملات الأوروبية القديمة ولعلها عملة فلورنسية أو هولندية أو إنكليزية. منير البعلبكي: معجم المورد، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨٣م)، ص٣٥٦.

(٧٨)- ول وايريل ديورنت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، بيروت، تونس، ١٩٨٨م، ص٦١.

(٧٩) -كونستبل: المرجع السابق، ص١٠٨-١٠٩.

(80)-Norman A. Stillman: Op.Cit., P.28.

(81)- Goitein, Letters Of Medieval Jewish Traders,264-267.

(٨٢)-الطيبي: المرجع السابق، ج٢، ص١٤٨.

(83)- Goitein, Letters Of Medieval Jewish Traders, P.55.

(٨٤) -الطيبي: المرجع السابق، ج٢، ص١٦٢.

(٨٥) -كونستبل: المرجع السابق، ص١٣١.

(٨٦) -الطيبي: المرجع السابق، ج٢، ص١٤٨.

(٨٧) -كونستبل: المرجع السابق، ص١٤٩.

(88)- Goitein, Letters Of Medieval Jewish Traders, P.255.

(٨٩)- الفرما: من موانئ الساحل الشمالى لمصر وكان لها شأن كبير فى العصر الفاطمى، فكانت محط وفود كثير من التجار الأجانب من كافة الجنسيات وكانوا يتوجهون منها إلى القلزم لركوب البحر، وقد وصفها المقدسى بأنها: "كانت آهلة، وبها أسواق، وهى مجمع الطرق. وهى بذلك تقع على بداية الطريق البرى الذى يسير محاذيًا للساحل عبر سيناء إلى آسيا. ناصر خسرو: المصدر السابق، ص٣٧.

(٩٠)- القلزم: يعتبر هذا الميناء من أهم الموانى على البحر الذى أخذ اسمه من مدينة(القلزم) حيث تقع هذه المدينة على الطرف الشمالى لهذا البحر، وكانت (القلزم) بموقعها هذا تقع فى نهاية أقصر طريق صحاروى تسلكه القوافل يصل بينها وبين الفرما ميناء مصر على ساحل بحر الروم الذى كان مسلكًا هامًا للتجارة. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (طبعة ليدن، ١٩٠٩م)، ص ١٩٥؛ المقريزى: الخطط، ج ١، ص ٧١.

(٩١)- محمد عبده السروري: "دور ميناء عدن في النشاط التجاري البحري بين الصين ومصر في القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي"، بحث ضمن المؤتمر الدولي الرابع العلاقات العربية الصينية التاريخ والحضارة"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، ٢٠١٢م، ص١٢٦.

(٩٢)- محمد عبده السروري: المرجع السابق، ص١٢٦.

(93)-Moshe Gil: The Flax Trade In The Mediterranean In The Eleventh Century, P.91.

(٩٤)- جوايتاين: المرجع السابق، ص٢١٣-٢١٤.

(٩٥) - ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م): مختصر كتاب البلدان، (ليدن، ١٩٦٧م)، ص٢٧٠؛ موريس لومبار: المرجع السابق، ص:٣١٣.

(٩٦)- سلام شفاعي: المرجع السابق، ص ١٥٤-١٥٥.

(٩٧) - سلام شفاعي: المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٩٨)-عيذاب: تقع فى أقصى الساحل الجنوبى لمصر المطل على البحر الأحمر على مقربة من الحدود المصرية السودانية، ومنذ القرن الخامس الهجري اشتهر ميناء عيذاب بأهميتها التجارية الدينية باعتباره ميناء هام للحجيج. المقريزى: الخطط، ج ١، ص ١٠٢؛ آمنة حسين علي: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٩٨٧م، ص٨٦.

(99)- Goitein: New Light On The Beginnings Of The Kārim Merchants, Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 1, No. 2 (Apr., 1958), P.182..

(١٠٠)- سلام شفاعي: المرجع السابق، ص٢٨.

(101)-Geoffrey A. Khan: A Copy Of A Decree From The Archives Of The Fāṭimid Chancery In Egypt, Bulletin Of The School Of Oriental And African Studies, University Of London, Vol. 49, No. 3 (1986), P.441.

(١٠٢) - ناصر خسرو: المصدر السابق، ص١٢٤؛ سلام شفاعي: المرجع السابق، ص ١٤٩.

(١٠٣)-النويري: المصدر السابق، ج٢٨، ص١٥٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٠٣.

(104)- Goitien : From Mediterranean To India Documenton The Trade To India, P.202

(105)-Goitien :Op.Cit, P.203
(106)-Ibid, P.188

(١٠٧)- جوايتاين: المرجع السابق، ص٢٢٢.

(108)-Norman A. Stillman: Op.Cit., P.27.
(109)- Goitein: New Light On The Beginnings Of The Kārim Merchants, P.183.

(١١٠)- كونستبل: المرجع السابق، ص ١٠٧٥.

(١١١) - سلام شافعي: المرجع السابق، ص ١٥١.

(112)-Moshe Gil: The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century, P.317.
(113)-Moshe Gil: The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century, P.282.

(١١٤)- جوايتاين: المرجع السابق، ص٢٣٨.

(115)-Moshe Gil: The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century, P.276.

(١١٦)- جوايتاين: المرجع السابق، ص٢١٨.

أمين توفيق الطيبي: "جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي من خلال رسائل الجنيزة"، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، السنة السادسة، العدد (٢)، ١٩٨٤م، ص١٥١.

(118)-Goitein: Letters Of Medieval Jewish Traders, P.233-235.
(119)-Norman A. Stillman: The Eleventh Century Merchant House Of Ibn 'Awkal (A Geniza Study) , Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 16, No. 1 (Apr., 1973), P24.

(١٢٠) -الطيبي: جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب، ص١٤٨.

(121)-Goitein: Letters Of Medieval Jewish Traders, P.232-233.

(١٢٢)- جوايتاين: المرجع السابق، ص٢١٤.

(123)-Moshe Gil: The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century, P.275.
(124)-Moshe Gil: The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century, P.275.

(١٢٥) -كونستبل: التجارة والتجار، ص١٣١.

-(126) Goitein: New Light On The Beginnings Of The Kārim Mer, P.183

(١٢٧)-توفيق الطيبي: دراسات، ص٤٦٥.

(128)-Moshe Gil: Op.Cit., P.33.
(129)-Norman A. Stillman: The Eleventh Century Merchant House Of Ibn 'Awkal, P17.
(130)-Norman A. Stillman: Op.Cit, P.28.
(131)-Ibid, P.27.
(132)- Ibid , P.18.
(133)- Ibid ,P.20.
(134)- Ibid ,P.195.
(135)- Ibid ,P.24.
(136)- Ibid ,P.195.
(137)-Moshe Gil: Op.Cit., P.33.

(١٣٨)- جواتيان: المرجع السابق، ص٢٦١.

(١٣٩) -كونستبل: المرجع السابق، ص١٥٥.

(140)-S. D. Goitein: India Traders Of The Middle, P.14.

(١٤١)- كونستبل: المرجع السابق، ص١٥٦.

(١٤٢)- المقريزي: الخطط، مج ٢، ص١٩٤.

(١٤٣)- المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٩٧؛ سلام شافعي: المرجع السابق، ص٨٧-٨٨.

(١٤٤)- المقريزي: الخطط، ج ٢، ص٣٩٨؛ سلام شافعي: المرجع السابق، ص١٤٨.

(١٤٥)- ناصر خسرو : المصدر السابق، ص

(146)- Goitein : The Social Services Of The Jewish Community As Reflected In The Cairo Geniza Records, Indiana University Press , Jewish Social Studies, Vol. 26, No. 1 (Jan., 1964), P.4.

(١٤٧)- كونستبل: المرجع السابق، ص٢٦٤.

-Moshe Gil : Op.Cit., P.34.
(148)-Moshe Gil: Ibid., P.32.
(149) - Moshe Gil: The Flax Trade In The Mediterranean, P.89.
(150) - Moshe Gil: The Flax Trade In The Mediterranean, P.90.
(151)-Moshe Gil: Op.Cit., P.87.
(152)-Moshe Gil: The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century Geniza Documents, P.276.
(153)-Goitein: Letters Of Medieval Jewish Traders, P.255.

(١٥٤)-كونستبل: المرجع السابق، ص١٥٦.

(155)-Ibid, P.65.

(١٥٦)- الطيبي: جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب، ص٤٦٤.

(157)- Philip Mayerson: The Role Of Flax In Roman And Fatimid Egypt , Journal Of Near Eastern Studies, The University Of Chicago Press, Vol. 56, No. 3 (Jul., 1997), P.204.
(158)-Moshe Gil: The Flax Trade In The Mediterranean In The Eleventh Century, P.92.
(159)- Philip Mayerson: Op.Cit. P.205
(160)-Moshe Gil: Op.Cit., P.87.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- ابن الأثير: الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، ج١٠، (دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣م).

٢- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م): مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٩٦٧م.

٣- ابن مماتي أسعد بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن نينا (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): كتاب قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سريال،) مكتبة مدبولي، ١٩٩١م).

٤- بنيامين التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي (ت٥٦٩هـ): رحلة بنايمين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، المجمع الثقافي، الطبعة الثانية، (أبوظبي، ٢٠٠٢م).

٥- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (طبعة ليدن، ١٩٠٩م).

٦- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي أبي العباس (٨٤٥هـ/١٤٤١م): اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلف، تحقيق: جمال الدين الشيال (ج١) - محمد حلمي محمد أحمد (ج٢، ٣)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مؤسسة الفرقان، (القاهرة، ٢٠٠٢م).

٨- ناصر خسرو علوي: سفر نامة، ترجمه: يحيى الخشاب. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٣م.

٩- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، (بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م).

ثانيا: المراجع العربية:

١- آمنة حسين علي: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٩٨٧م.

٢- أمين توفيق الطيبي: جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي من خلال رسائل الجنيزة، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، السنة السادسة، العدد (٢)، ١٩٨٤م.

٣- أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الجزء الثاني، (الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧م).

٤- اوليفيا ريمي كونستبل: التجارة والتجار في الأندلس، تعريب: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، (الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٥- جواتياين: دارسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تحقيق: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، (الكويت، ١٩٨٠م).

٦- خالد يونس الخالدي: اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (٩٢- ٨٩٧هـ = ٧١١- ١٤٩٢م)، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٧- سلام شافعي محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م).

٨- علي أحمد محمد: اليهود في شرق البحر المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦م).

٩- فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية: من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م).

١٠- محمد عبده السروري: دور ميناء عدن في النشاط التجاري البحري بين الصين ومصر في القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي، بحث ضمن المؤتمر الدولي الرابع العلاقات العربية الصينية التاريخ والحضارة"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، ٢٠١٢م.

١١- منير البعلبكي: معجم المورد، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.

١٢- نضال حميد السعيد: الأزمات الاقتصادية التي أصابت مصر في خلافة المستنصر بالله الفاطمي، مجلة كلية التربية، بغداد، العدد الثاني، ٢٠٠٨م.

١٣- ول وايريل ديورنت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (تونس، ١٩٨٨م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1- Elinoar Bareket: The Head Of The Jews (Ra'is Al-Yahud) In Fatimid Egypt: A Re-Evaluation , Bulletin Of The School Of Oriental And African Studies, University Of London, Vol. 67, No. 2 (2004).

2- Geoffrey A. Khan: A Copy Of A Decree From The Archives Of The Fāṭimid Chancery In Egypt, Bulletin Of The School Of Oriental And African Studies, University Of London, Vol. 49, No. 3 (1986).

3- Mark R. Cohen: Correspondence And Social Control In The Jewish Communities Of The Islamic World: A Letter Of The Nagid Joshua Maimonides , Jewish History, Vol. 1, No. 2 , Fall, 1986).

4- Mark R. Cohen: Correspondence And Social Control In The Jewish Communities Of The Islamic World: A Letter Of The Nagid Joshua Maimonides , Jewish History, Vol. 1, No. 2 (Fall, 1986).

5- Moshe Gil: The Flax Trade In The Mediterranean In The Eleventh Century A.D. As Seen In Merchants' Letters From The Cairo Geniza, Journal Of Near Eastern Studies, Vol. 63, (No. 2 , April 2004).

6- The Jewish Merchants In The Light Of Eleventh-Century Geniza Documents, Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 46, No. 3 (2003).

7- Norman A. Stillman: The Eleventh Century Merchant House Of Ibn 'Awkal (A Geniza Study) , Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 16, No. 1 (Apr., 1973).

8- Norman Golb,Et: Legal Documents From The Cairo Genizah , Indiana University Press , Jewish Social Studies, Vol. 20, No. 1 (Jan., 1958).

9- Philip Mayerson: The Role Of Flax In Roman And Fatimid Egypt , Journal Of Near Eastern Studies, The University Of Chicago Press, Vol. 56, No. 3 (Jul., 1997).

10- S. D. Goitein: The Documents Of The Cairo Geniza As A Source For Mediterranean Social History, Journal Of The American Oriental Society, Vol. 80, No. 2. (Apr. - Jun., 1960).

11- The Social Services Of The Jewish Community As Reflected In The Cairo Geniza Records (II), Jewish Social Studies, Vol. 26, No. 2 (Apr., 1964).

12- The Social Services Of The Jewish Community As Reflected In The Cairo Geniza Records, Indiana University Press , Jewish Social Studies, Vol. 26, No. 1 (Jan., 1964).

13- New Light On The Beginnings Of The Kārim Merchants, Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. 1, No. 2 (Apr., 1958).

١٤- Letters Of Medieval Jewish Traders, Princenton University December , 1972.

15- From Mediterranean To India Documenton The Trade To India , (Speculum -Vol - Xxix - 1954).

16- Goitein And Mordechai Akiva Friedman: India Traders Of The Middle Ages Documents From The Cairo Geniza (India Book), Brill, LEIDEN , BOSTON, 2008.

17- S. M. Stern: Three Petitions Of The Fāṭimid Period, Oriens, Vol. 15 (Dec. 31, 1962).